



**الواحدية في الفكر الفلسفي (عرض ونقد)**

إعداد

**د/ سحر إبراهيم مصطفى جميعه**

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية  
بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر



## الواحدية في الفكر الفلسفي (عرض ونقد)

سحر إبراهيم مصطفى جميعه

قسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة،  
جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: [saharGemeaa.820@azhar.edu.eg](mailto:saharGemeaa.820@azhar.edu.eg)

### الملخص :

يعد هذا البحث محاولة لمعالجة مسألة الواحدية التي اتخذها بعض الفلاسفة مذهباً ناطقاً، ومعبراً عن فلسفتهم خلال عصور الفكر الفلسفي في المراحل المختلفة، وهي عبارة عن المبدأ الذي يجعل الله والعالم عبارة عن موجود واحد سواء رجع الوجود إلي المادة وحدها وهي الواحدية المادية، والتي تعد فلسفة اسبينوزا معبرة عنها بصورة واضحة جداً، أو إلي الروح أو المثال فقط وهي الواحدية الروحية (المثالية)، والتي تعد فلسفة هيغل مثال تطبيقي لها، فتنتقي في الفلسفة الواحدية العلاقة الثنائية بين طرفين (الخالق والمخلوق) - وليس فيها اعتراف بعملية الخلق أصلاً- بل العلاقة تكون أحادية ذات طرف واحد، ومن خلال البحث يتضح أن الفلسفة الواحدية فلسفة إحادية، ولا يمكن التوفيق بينها وبين الدين بأي حال من الأحوال، وقد جاء هذا البحث بعنوان "الواحدية في الفكر الفلسفي (عرض ونقد)" ويشتمل علي مقدمة، ومبحثين وخاتمة، والمبحث الأول بعنوان: تعريف الواحدية وأقسامها، وفيه مطلبان الأول بعنوان: الواحدية ضبط المصطلحات والمفاهيم، والثاني بعنوان: أقسام الواحدية، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: الواحدية عبر تاريخ الفكر الفلسفي وفيه ثلاث مطالب: الأول بعنوان: الواحدية في العصر القديم، والثاني بعنوان: الواحدية في العصر الأوروبي الوسيط، والثالث بعنوان: الواحدية في العصر الحديث، ثم كانت الخاتمة، و الفهارس.

**الكلمات المفتاحية:** الواحدية، الواحدية المادية، الواحدية الروحية، الوجود الواحد، الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة، المطلق.

## **Monism in philosophical thought (presentation and criticism)**

**sahar 'iibrahim mustafaa jamieuh**

**Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arab Studies in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.**

**Email: saharGemeaa.820@azhar.edu.eg**

### **Abstract :**

This research is an attempt to address the issue of monism, which some philosophers have taken as a speaking doctrine, expressing their philosophy during the ages of philosophical thought in the various stages. It is the principle that makes God and the world a single existence, whether existence is attributed to matter alone, which is material monism, which is considered a philosophy. Spinoza expressed it very clearly, or to the spirit or ideal only, of which Hegel's philosophy is an applied example. In monotheistic philosophy, there is no dual relationship between two parties (the Creator and the creature) - and there is no acknowledgment of the process of creation at all - but rather the relationship is unilateral with one side. Through research, it becomes clear that monotheistic philosophy is an atheistic philosophy, and it cannot be reconciled with religion in any way. This research was entitled "Monistic Philosophy in Philosophical Thought (Presentation and criticism)" (It includes an introduction, two sections, and a conclusion. The first topic is entitled: second is titled: Sections of monism. The second topic is titled: Monism throughout the history of philosophical thought, and it contains three demands: The first is titled: Monism. In the ancient era, the second is entitled: Monism in the Middle European Era, and the third is entitled: Monism in the Modern Era Then the conclusion included the most important results, and finally the indexes.

**Keywords:** Monism, Material monism, Spiritual monism, One Existence, Imprinted nature and imprinted nature, The Absolute.

## المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد، المتفرد بالألوهية والعبودية، المتعالي علي خلقه، المتصرف في الكون وشؤونه، المنزه عن الأغيار والشركاء، الحاكم للكون كله بأرضه وسمائه، واهب الحياة وخالق الوجود وإليه أيضا يرجع الوجود، والصلاة والسلام علي أفضل رسله وأنبيائه الذي مع علو منزلته ورتبته وأفضليته علي باقي الخلق وسم نفسه بأنه عبد الله ورسوله، عليه وعلي آله وأصحابه وأتباعه الذين فقهوا معني العبودية لله رب العالمين، وأدركوا أن شرف الإنسان ورتبته ومنزلته إنما تتحقق في التوجه الكامل للمولي عز وجل، والاعتماد والتوكل عليه جل شأنه دون سواه؛ فلا تذل الجباه إلا له ولا معبود بحق سواه، وبعد

تعد مسألة العلاقة بين الله والعالم أحد أهم وأبرز المسائل التي شغل الفكر الفلسفي ببحثها ودراستها على مر العصور والأزمان، وتعددت فيها الآراء وانقسمت فيها الرؤى وتشعبت فيها وجهات النظر إلى عدة اتجاهات: فمن قائل بالوحدانية ومعتزف بأن الكون يرجع في أساسه ومصدره إلى الله سبحانه وتعالى الخالق الوحيد لهذا الكون، والمستحق بالعبادة، فالعلاقة تكون ثنائية بين طرفين خالق يتصف بالعلو في الرتبة والمنزلة والمكانة، ومخلوق يتصف بالحدوث والتغير والفناء، ومن منكر لوجود الخالق وقائل بأن الطبيعة تحكمها قوانين حتمية وليست في حاجة لوجود الخالق؛ فاتخذ الإلحاد له طريقة ومذهبا، فهناك طرف واحد يتصف بالوجود وهو العالم المرئي، ومن قائل باللا أدرية؛ فيمسك عن إبداء الرأي ويحجم عن الاعتراف بوجود الخالق أو إنكار وجوده، فاتخذ الموقف لا أدري وحسب، وفريق جعل للكون إلهان؛ فقال بالثنائية، فيجتمع علي العالم مؤثران، وفريق جعل للكون آلهة متعددة؛ فقال بالتعددية فتتشعب العلاقات وتفترق إلي أطراف عدة، وفريق وحد بين الله والعالم فجمع بينهما في وحدة واحدة؛ فقال بالواحدية فيكون الله والعالم بمثابة وجهان لحقيقة واحدة لا تكون فيها العلاقة ثنائية

قائمة بين طرفين مختلفين عن بعضهما، وهى ما سوف تشتغل الباحثة بدراستها والتعليق عليها من خلال هذا البحث الذي كان بعنوان: " **الواحدية في الفكر الفلسفي (عرض ونقد)**"، ونظرا لأن مفهوم الواحدية هو أحد المفاهيم المغلوطة في مجال العقيدة الدينية، والذي وجد له مؤيدين ومرددين علي مر العصور والأزمان الذين كانوا يتصورون أن من كمال التنزيه إلي الواحد سبحانه وتعالى عدم نسبة الكثرة والتغير إليه؛ لذلك قالوا بقدم العالم بناء علي قدم العلة، ولم يقدر عقلم القاصر ولا وجهة نظرهم الضيقة تصور كيفية صدور الكثرة المتغيرة من الواحد المطلق - وذلك علي حد تعبيرهم - ومنهم من ذهب إلي نفي وجود الواحد أصلا، وإثبات الوجود للعالم فقط الذي هو الوجود الحقيقي والفعلي، ومن البين أن مقام الألوهية هو أحق الأمور التي ينبغي بالمسلم الدفاع عنه، والزود عن حياضه لما كان مفهوم الواحدية يستهدف أصلا منازعة الإله في ملكه والنيل من وحدانيته، فمفهوم الواحدية وقضية توحيد الله عز وجل لا يجتمعان أبدا في قلب المسلم؛ لذلك كان ينبغي توضيح هذا المفهوم وبيان فساده وبطلانه وذلك بالأدلة والبراهين ومن خلال الدراسة المنهجية والموضوعية **ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع.**

**أما عن أسباب الاختيار فهي:**

- ١- تعد مسألة الواحدية من الأهمية بمكان لما لها من الخطورة والتأثير علي عقيدة الألوهية، والتي تعد الأساس في قلب المسلم، فينبغي أن يكون هناك مسار تصحيحي يدرس الأفكار الفلسفية التي لا تتفق مع الدين بطريقة موضوعية تبتغي العرض والتحليل الذي يتضمن النقد.
- ٢- الفائدة الفكرية التي تقع علي من خلال التعرف عن قرب علي آراء الفلاسفة حول ذلك الموضوع الذي استغرق ردها طويلا من الزمن، وشغل الفكر الفلسفي ببحثه ودراسته.
- ٣- تتببع تلك المسألة من خلال عصور الفكر الفلسفي، والوقوف علي تطور

الفكرة منذ البداية في العصر اليوناني مروراً بالعصر الوسيط، وانتهاءً بالعصر الحديث.

٤- التنبه علي خطأ تلك المسألة والتي هي في حقيقتها أحد السهام الموجهة ضد قضية الألوهية فتعد مسألة دراستها، وتفنيد شبهها والرد عليها ونقدها ضرورة ينبغي أن يكون هناك من يتصدى لها، ويثبت بطلانها وزيفها.

#### الدراسات السابقة:

لم أقف علي بحث فلسفي يتناول مسألة الواحدية بالبحث والدراسة بصورة مستقلة ومنفردة عبر تاريخ الفكر الفلسفي ولكن وجدت إشارات متناثرة هنا وهناك، تناولت المذهب الفلسفي للفلاسفة الواحديين بصورة عامة وآرائهم الفلسفية في قضية الألوهية ومن تلك البحوث ما يلي:

١- الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات (دراسة نقدية)، رسالة ماجستير للباحث أحمد بن سعود بن سعد الغامدي، إشراف: د/ إبراهيم خليفة عبد اللطيف، جامعة أم القرى بالسعودية، ٢٠١٤م.

٢- فلسفة الدين عند اسبينوزا في ضوء المنهج الديكارتي، بحث ل د/ غيطان السيد علي، كلية الآداب جامعة المنصورة، ٢٠١٧م.

٣- مفهوم الدين عند هيجل، رسالة ماجستير للباحثة حامدي فوزية، إشراف د/ بن عزالة محمد صديق، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجزائر، ٢٠١٦م.

ولكن ما يمتاز به بحثي عن الدراسات السابقة أنه أصّل لمفهوم الواحدية عند الفلاسفة، وتناوله بالتفصيل، والشرح، والنقد، فالبحت الأول اقتصر علي ذكر مفهوم الإله عند (إكزبنوفان، وبارمنيدس) فقط بطريقة مجملة، وتناول الثاني مفهوم الطبيعة الطابعة، والطبيعة المطبوعة عند (اسبينوزا) دون إشارة للمذهب الواحدية عنده، وكذلك البحث الثالث في تناوله لمفهوم الدين عند (هيجل).

## إشكالية الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية كيف توصل الفلاسفة إلي حل لمسألة صدور الكثرة المتغيرة عن الواحد المطلق؟ هل هناك لزوم عقلي بين وجود الله ووجود العالم عند الفلاسفة؟ ما هو التفسير الذي قدمه الفلاسفة لوجود العالم بعيدا عن مبدأ الخلق من عدم ومسألة العناية والتدبير الإلهي؟ هل ينسب إلي العالم أنه واحد أم كثير وهل يوصف بالحركة والتغير أم لا؟ ما هو الأساس الذي قامت عليه مسألة الواحدية عند الفلاسفة؟ ما هو تصور الفلاسفة الواحديين عن الله؟

وأما عن المنهج المستخدم في هذا البحث فقد قمت باستخدام مناهج

عدة:

١- المنهج التاريخي: حيث قمت بمتابعة فكرة الواحدية بداية من العصر اليوناني مروراً بالعصر الوسيط الأوروبي حتى العصر الحديث، مراعية في عرض فكرة الواحدية عند الفلاسفة الترتيب الزمني لوجود كل فيلسوف بداية بالأقدم فالأحدث.

٢- المنهج التحليلي: وذلك عند عرض مفهوم الواحدية عند الفلاسفة، فقمت بجمع النصوص ذات الصلة بموضوع البحث مضيئة الشرح والتحليل والتعليق.

٣- المنهج النقدي: وذلك بعد الانتهاء من تأصيل مفهوم الواحدية عند الفلاسفة في نهاية كل مطلب علي شكل نقد وتعقيب.

وأما عن خطة البحث:

فقد انتظم عقد هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة. وأما المقدمة فقد عرضت فيها: لأهمية موضوع البحث، وأسباب الاختيار، وإشكالية البحث، والمنهج المستخدم فيه، والخطة، وأما المبحث الأول فكان عنوان: تعريف الواحدية وأقسامها وفيه مطلبان: المطلب الأول بعنوان: الواحدية ضبط المصطلحات والمفاهيم، والمطلب الثاني بعنوان: أقسام



الواحدية، والمبحث الثاني كان بعنوان: الواحدية عبر تاريخ الفكر الفلسفي وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول بعنوان: الواحدية في العصر القديم عرضت للواحدية عند كل من: (إكزبنوفان، وبارمنيدس، وزينون، وديمقريطس، وأفلوطين)، وفي نهاية المطلب قمت بالنقد والتعقيب، والمطلب الثاني بعنوان: الواحدية في العصر الأوروبي الوسيط عرضت فيه للواحدية عند (جون اسكوت أريجينا)، ثم قمت بالنقد والتعقيب، والمطلب الثالث بعنوان: الواحدية في العصر الحديث، وعرضت فيه للواحدية عند: (برونو، واسبينوزا، وفشته، وشلنج، وهيغل)، وفي نهاية المطلب قمت بالنقد والتعقيب، وخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأتبعتها بثبت للمصادر، وفهرس تفصيلي للموضوعات.

وبعد فهذا عملي وجهدي الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينال عنده القبول، وألا يحرمني أجر المجتهد أصاب أو أخطأ، والحمد لله في المبدأ والمنتهي.

### تمهيد

يعد مفهوم الواحدية أحد الوجوه التي عرضها الفلاسفة؛ لتفسير كيفية نشأة هذا العالم بعيدا عن الدين، فهو صورة من صور الفلسفات الإلحادية التي تبتغي الوصول إلي تفسير مادي عقلي تجريبي لهذا الكون، ولا يوجد في الفلسفة الواحدية مكان لإله خالق قديم يتصف بالوحدانية علي سبيل الانفراد، ومخلوق حادث هو العالم الذي وجد من العدم، ونشأ من الفراغ، ومادته استحدثت من العدم، وهي فانية زائلة في النهاية، فتلك المفاهيم يرفض الفلاسفة الواحديون التسليم بها بل قامت الواحدية عندهم؛ لإنكار تلك المباديء ورفضها، فتكون تلك الفلسفة في حقيقتها حربا علي الدين، ولا يستقيم معها فهم صحيح لعقيدة الألوهية فضلا عن وجود عقيدة إيمانية سليمة أصلا.

فالفلسفة الواحدية انتزعت من الذات الإلهية صفات تختص بها، وأثبتتها إلي العالم، فلما نسبت تلك الصفات الإلهية إلي العالم أصبح العالم محلا للفعل الإلهي، فصار مسؤولا عن الإيجاد والإعدام، وأصبح يحتوي في داخله علي سبب وجوده، وليس في حاجة إلي سبب أو مؤثر، فانقلبت الأدوار، وتداخلت الاختصاصات، فأصبح المخلوق خالقا، وخلي مفهوم الإله الخالق المتعالي من أي دور وظيفي، أو مقام عالي مقدس إليه نلجأ في أوقات الضعف فضلا عن أوقات الشدة والرخاء.

تعد فكرة الوحدة علامة علي النضج الفكري، ففكرة التعدد أسبق في الوجود والظهور منطقيا من فكرة الوحدة، ولم يخل وجود العنصر الإنساني أبدا من الحديث عن مسألة وجود الإله، فهي مسألة يستطيع العقل السليم والفترة السوية الوصول إلي معرفتها، لكن العقل البشري ضل عن ذلك المبدأ في بعض أفراده وعبر عن تلك الفكرة الواحدية التي كانت محل قبول وتسليم عند بعض الفلاسفة خلال العصور المختلفة.

## المبحث الأول: تعريف الواحدية وأقسامها:

### المطلب الأول: الواحدية ضبط المصطلحات والمفاهيم.

بالبحث عن تلك الكلمة عبر تاريخ الفكر الفلسفي فسنجد أن (فولف ١٦٧٩-١٧٥٤م) أول من استعمل هذا المصطلح؛ وذلك للدلالة على نظريتين مختلفتين في طبيعة الموجود، الأولى: المادية التي تقول أن كل ما يوجد إنما هو مادي، و الثانية: المثالية التي تقول أن كل ما يوجد إنما هو مثالي أو ذهني<sup>(١)</sup>. فكان المفهوم من لفظ الواحدية هو ذلك المعنى السابق وحسب لكن مفهوم تلك الكلمة خضع للتغيير والتطور " واستخدمت استخداما واسعا فأطلقت على أية نظرية تحاول تفسير الظواهر بردها إلي مبدأ واحد،" <sup>(٢)</sup> فالواحدية هي النظرية التي تقول بجوهر واحد فحسب أو عالم واحد، أو أن الواقع الخارجي واحد بمعنى أنه لا يتغير ولا ينقسم ولا يتميز، فمثلا المذهبان المتعارضان القائل أحدهما بأن كل شيء عقلي، والقائل ثانيهما: أن كل شيء مادي، ما هما إلا صورتان فجتان للتعبير عن الواحدية<sup>(٣)</sup>.

يمكن القول بأن الغالب على استعمال لفظ الواحدية أن يكون في نطاق الوجود فيراد بها الجمع بين الله والعالم في مفهوم واحد غير أنها قد تستعمل أيضا في مجال المعرفة والسلوك، فالواحدية الكونية مفهوم (أنطولوجي) وجودي وهي: الرؤية الحلولية الكونية القائلة بأن الكون بأسره يمكن أن يرد إلى مبدأ واحد، هو القوة الدافعة للمادة الكامنة فيها التي تتخلل

(١) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني - القسم الثاني، ص: ١٤٥٥،

معهد الإنماء العربي - لبنان، ط: ١، ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري و ج.أو. أرمسون، تر: فؤاد

كامل - جلال العشري - عبد الرشيد عبد الصادق، ص: ٤١٠، المركز القومي

للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص: ٤١٠.

ثناياها، وتضبط وجودها: وهي قوة لا تتجزأ، ولا يتجاوزها شيء ولا يعلو عليها أحد وهي تشكل نظاما ضروريا كليا للأشياء لا يمنح الإنسان أو أي كائن آخر أهمية خاصة أو مركزية.<sup>(١)</sup>

هناك عدة مصطلحات قد يقع اللبس في مفهومها ودلالاته؛ لذلك ينبغي التنبه عليها وهي: الواحدية، والأحادية، والأحدية، والوحدانية، فالواحدية: سبق بيانها، والأحادية: "مفهوم أبستمولوجي (معرفي) يري أن الأحادية خاصة تسم بعض طرق التعريف والتحليل والإدراك،"<sup>(٢)</sup> أما الأحادية أو الواحد أو الوحدانية فهي تستخدم فقط عند الحديث عن الذات الإلهية، ويكون المعنى مطابقا للفظ فاستعمالها في غير الذات الإلهية يعد خطأ منطقيا ومغالطة لفظية، ف" معنى التوحيد فلسفيا هو الذي يكون خالصا من الشركين - الجلي والخفي - ومن مشاهدة الغير في الوجود المطلق ظاهرا كان أو باطنا، ذهنا كان أو خارجا بحيث لا يشاهد معه غيره أي لا يشاهد مع الحق غير الحق، ويكون عند الشاهد والمشهود والعارف والمعروف عينا حقيقة واحدة."<sup>(٣)</sup>

هذا ومصطلح الواحدية يتداخل في المفهوم مع مصطلح وحدة الوجود بطريقة ربما يصعب معها التفريق بينهما، ولكن يمكن القول بأن مصطلح الواحدية يعد موقفا ميتافيزيقيا يري أن الكون مظهر لأساس أو جوهر واحد ووحيد فقط، وله أقسام سيأتي ذكرها، وهو يدخل ضمن موضوعات الفكر الفلسفي وفي إطاره، بينما وحدة الوجود هو المذهب الذي يري أن الله والكون لا يفترقان وهو يخص في البحث ميدان الفكر الصوفي، فوحدة الوجود

(١) يراجع: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د/ عبد الوهاب المسيري، ١/ ٦٢، دار الشروق - القاهرة، ط: ١، ١٩٩٩م.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١/ ٦٢.

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ص: ٣٠٦، معهد الإنماء العربي - لبنان، ط: ١، ١٩٨٦م.

صورة من صور الواحدية، لكنها لا تؤدي بالضرورة إلي الإلحاد؛ وذلك لأنه في الفلسفة الواحدية يحدث تعدى واضح وصريح علي مقام الألوهية بينما في مسألة وحدة الوجود تكون الألوهية هي المفهوم الأبرز والأكثر ظهورا ووضوحا وحضورا.

يقابل مذهب الواحدية مذهب الأثنينية ومذهب التعدد، وكما يقال بضدها تتمايز الأشياء؛ فزيادة في إيضاح مفهوم الواحدية تذكر الباحثة معنى لفظ الأثنينية والتعددية.

الأثنينية أو الثنائية: مذهب فلسفي يقول بمبدأين يدبران العالم أو يديره أحدهما ويفسده الآخر، ويرجع هذا المذهب إلي أوائل عهد الفلسفة، ويعد القول بوجود إله يفعل الخير الموجود في العالم، وإله آخر يفعل الشر إحدى مظاهر ذلك المذهب، فالمانوية قالت فاعل الخير: هو النور، وفاعل الشر: هو الظلمة وفساده ظاهر، والمجوس ذهبوا إلي أن فاعل الخير: هو يزدان وفاعل الشر: أهرمن ويعنون به الشيطان.<sup>(١)</sup>

التعددية: تقوم التعددية في الفلسفة علي القول بوجود كائنات متعددة يتكون منها العالم متناقضة في ذلك مع الواحدية التي كما سبق القول ترد كل الكائنات إلي جوهر واحد أو مبدأ واحد، و ضد الثنائية التي ترفع العالم إلي مبدأين وقد يكون التعدد تمييزا عدديا للأشخاص، أو تمييزا للذرات الفيزيائية،<sup>(٢)</sup> ونجد التعددية بصورة واضحة في مذهب (لايبنتز) الفلسفي (١٦٤٦ - ١٧١٦م)، فالكون عنده بمجمله يتألف من وحدات قوة هي ذرات قوة تتشكل الأجسام من مجاميع عناصرها البسيطة وهي تسمى المونادات،

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، د/ مراد وهبة، ص: ٢٣٠، ٢٣١، دار قباء الحديثة للنشر - القاهرة، ط: ٥، ٢٠٠٧م.

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية، ج ٢ - القسم الأول، ص: ٣٥٣، ١٩٨٦م، وينظر أيضا: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص: ٤٨، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٨٣م.

وهي مجموع قوي نحس بها في داخلنا، فنشابهها بالإرادة المعزولة عن الوعي، وهي لا تختلف في طبيعتها عن بعضها البعض؛ لذلك يمكن تحديدها بكونها نفوساً أو أرواحاً نائمة غامضة.<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: أقسام الواحديّة:

تنقسم الواحديّة إلى ثلاث أقسام :

١- واحدية مادية ترد الوجود إلى المادة وحدها، كما عند (اسبينوزا)<sup>(٢)</sup> وسيأتي عرض مذهبه.

يمكن أن يطلق علي لفظ الواحدية المادية لفظ الواحدية الكونية: فهي توحد الإنسان والكون مع استبعاد الإله تماماً، فثمة جوهر واحد في الكون ينفي الحيز الإنساني والثنائية الناجمة عن وجوده، هذا ومفهوم الواحدية

---

(١) ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، روني إيلي ألفا، ٢ / ٣٥٢، ٣٥٣، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: ١، ١٩٩٢.

(٢) اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م): بنديكت أو باروخ اسبينوزا يهودي هولندي أبواه من أصل أسباني عاشا في البرتغال وفرا إلي هولندا هربا من الاضطهاد، ولد في أمستردام وترى؛ ليتحدث الأسبانية والبرتغالية والعبرية؛ وليكون حاخاما؛ ولكنه صار فيلسوفا وكتب باللاتينية، تعرض لمضايقات جمة بسبب موقفه المتحرر من تقاليد الممارسات الدينية؛ مما أدى إلي حرمانه من قبل الكنيس اليهودي، تعلم مبادئ الفيزياء، والهندسة، والفلسفة الديكارتيّة التي تأثر بها، مات صغيرا في الخامسة والأربعين بمرض السل الذي ورثه من أبيه واستشري في صدره بفعل تراب العدسات.

من مؤلفاته: رسالة موجزة في الله والإنسان وسعادته، المبادئ الفلسفية لديكارتر، رسالة في إصلاح العقل، الأخلاق.

ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١ / ٥٤٨، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني، ١ / ٧٢٠، مكتبة مدبولي - مصر، ط: ٣، ٢٠١٠م، معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ١٣٨، دار الطليعة - لبنان، ط: ٣، ٢٠٠٦م، الدليل الفلسفي الشامل، رحيم أبو رغيف الموسوي، ٢ / ٧٧، دار المحجة البيضاء - لبنان، ط: ١، ٢٠١٣م.

المادية يستبعد من منظوماته المعرفية والأخلاقية أي عنصر من عناصر التجاوز (الإله - القيم الإنسانية والأخلاقية المطلقة - الغائيات المتجاوزة لحركة المادة)، وينظر للعالم من خلال قانون طبيعي مادي واحد يسري علي الإنسان سريانه علي الطبيعة/ المادة، ومن ثم فالرؤية الواحدة المادية توحد بين الإنسان والطبيعة، وتستبعد المقدسات، والغائيات (الإلهية والإنسانية) كافة؛ باعتبارها أمورا مفارقة للمادة، وقوانينها<sup>(١)</sup>.

٢- واحدة روحية، أو مثالية ترد الوجود إلى المثال أو الروح، كما عند هي (هيجل)<sup>(٢)</sup>.

وهي: عبارة عن المذهب الفلسفي الذي لا يري في المادة المبدأ الأول للكون، بل يري مبادئ لا مادية هي مثالات للأشياء؛ فيلجأ للعقل بغية الحصول علي مبادئ عقلية أو ذهنية؛ من أجل تفسير وحدة الكون، والاتجاه المثالي في الواحدة الفلسفية: يعتبر الله مبدأ هذه الوحدة، وينظر إليه كوحدة كلية تشمل الكون والوجود، ولكنه لا يقول بالتطابق الهوي بين الله والكون الكثروي، فرغم إغائه للتمايز بين الله والعالم ما يزال يعتقد أن الله هو مصدر العالم وأن الوحدة الهوية بين الله والعالم ما تزال بالتالي تحتفظ

(١) ينظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د/ عبد الوهاب المسيري، ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥، دار الشروق - القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٢م.

(٢) هيجل جورج ويليام فريدريك (١٧٧٠ - ١٨٣١م): ألماني، كان يكبر شلنج بخمس سنوات ولكنه كان تلميذا له، من أعظم الفلاسفة تأثيرا في تاريخ الفلسفة، لم يعرف تاريخ الفلسفة فيلسوفا بعد أفلاطون وأرسطو له هذه المكانة الرفيعة والسدة العالية مثل هيجل.

من مؤلفاته: الفرق بين فلسفتي فشته وشلنج، علم المنطق في ثلاث مجلدات يعد حجر الزاوية في بنائه الفلسفي، مبادئ فلسفة الحق، حياة يسوع، وضعية الدين المسيحي. ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، روني إيلي ألفا، ٢/ ٥٦٩، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني، ٢/ ١٤٩٦، الدليل الفلسفي الشامل، رحيم أبو رغيف الموسوي، ٣/ ٦٢٦، ٢٠١٥م، معجم الفلاسفة، ص: ٧٢١.

بطابع نسبي يحفظ الله مركزه الأول، وبالمقابل فإن الاتجاه المادي في الفلسفة الواحدية يحاول الارتفاع بها إلي مستوي التساوق التام فيوجد بين الله والعالم علي نحو مطلق فهو ينفي كل أنواع الخلق مما يؤدي في نهاية المطاف إلي الإلحاد.<sup>(١)</sup>

والباحثة تري أن كلا الفريقين صدر منهما تجاوز وتعدى واضح علي مقام الألوهية ومنزلته، فلا مجال هناك لتفضيل أحد القسمين علي الآخر؛ فكلاهما أخطأ وبعد عن الصواب، وخطب بين مقام الألوهية العالي الشأن المرتفع في المكانة والمنزلة، المفارق كل المفارقة لمرتبة العالم، فحين ننقل من الله إلي العالم يكون هناك تغاير وتمايز في الوجود وفي الحقيقة بطريقة لا تمكننا من القول بوجود أي مجال للاتحاد.  
٣- واحدة محايدة كما عند (برتندراسل)<sup>(٢)</sup>.

وهي تضمن النظر إلي الكون باعتباره مكونا من عدد لا نهائي من الوقائع والأحداث كل وأي واقعة في صورتها الجزئية وأصلها ليست من طبيعة قائمة بذاتها بل من طبيعة محايدة بين المادة والعقل، فهي وجهة نظر ميتافيزيقية مؤداها أن الطبيعة بأكملها تتألف من نوع واحد من الكيانات الأولية التي هي لا عقلية ولا فيزيائية (مادية).<sup>(٣)</sup>

(١) الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني - القسم الثاني، ص: ١٤٥٦، ١٤٥٧.  
(٢) برتندراسل (١٨٧٢-١٩٧٠م): فيلسوف إنجليزي كان في بداية أمره أفلاطونيا، ثم تحول شيئا فشيئا إلي المذهب الوضعي، من مؤلفاته: كتاب فلسفة ليبينتز ويشتمل علي القطيعة التامة مع المذهب الهيجلي، مبادئ الرياضيات وهو أول كتاب له في المنطق، كتاب أساس الرياضيات، كتاب التصوف والمنطق.  
ينظر: الدليل الفلسفي الشامل، ١١ / ٢، معجم الفلاسفة، ص: ٣١٧، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ١ / ٦٤٧.  
(٣) ينظر: الحرية الإنسانية والعلم، د/ يمني طريف الخولي، ص: ١٦٢، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٦م، وكذلك الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، تر: د/ فؤاد زكريا، ص: ٢٣٥، مؤسسة هنداوي، بدون رقم طبعة، ٢٠٢٢م.



## المبحث الثاني: الواحدية عبر تاريخ الفكر الفلسفي

يعد مفهوم الواحدية كفكرة قديم قدم الفلسفة ذاتها فمن خلال البحث في عصور الفلسفة الثلاثة يتبين أنه لم يخل عصر من عصور الفلسفة من القول بها، فكانت موجودة في العصر القديم اليوناني، وكانت موجودة في العصر الوسيط، ويمكن العثور عليها أيضا عند فلاسفة العصر الحديث.

### المطلب الأول: الواحدية في العصر القديم:

أولا: الواحدية عند (إكزینوفان)<sup>(١)</sup>:

لو رجعنا بذلك المصطلح عبر التاريخ باحثين عن أول من أطلق واستعمل مصطلح الواحد فسوف نجد بذور لتلك الفكرة عند (إكزینوفان)، فهو المؤسس لفكرة الواحدية فقد هاجم فكرة تعدد الآلهة التي كانت موجودة لدى اليونان، ودعا إلى أن "ما هو إلهي لا يمكن إلا أن يكون واحدا"<sup>(٢)</sup>. كما

(١) إكزینوفان (نحو ٤٣٠ - ٥٣٠ ق.م): فيلسوف يوناني، عمل راويا للقصائد الملحمية، أسس المدرسة الإبلية وعلم بارمنيدس، تصدي لحياة سقراط ودافع عنه ضد ما اتهم به، وكتب مذكراته الشخصية، وما نمي إليه من قصص عن سقراط في كتابه الذي اشتهر به (ذكريات عن سقراط)، ويعتقد أنه مات في إيليا وقد جاوز تقريبا التسعين من عمره.

له مؤلفات شعرية تناول فيها موضوعات الأدب والقوة والحكمة والتقليد والله، منها: مراثي (وهي قصائد شعرية نظمها في الرثاء ألمح فيها إلي فيثاغورس وإلي التقمص)، محاكيات ساخرة (وهي قصائد نظمها بأبيات ملحمية حماسية انتقد فيها آلهة هوميروس وإزيود كما انتقد الإنتروبومورفيه وهو التجسيم أي خلع صفات البشرية علي الله وتشبيهها بالإنسان)، قصيدة في الطبيعة وصل منها ما يقارب خمسة عشر جزء قصير.

ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ٢/ ٢٦٣، ٢٦٤، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفنى، ١/ ١٧٥، دليل أكسفورد للفلسفة، تدهوندرتش، تر: نجيب الحصادي، ١/ ٨٤، المكتب الوطني للبحث والتطوير - ليبيا، بدون رقم طبعة، ٢٠٠٣م.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس، تر: د/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٤٦، دار الثقافة - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٨٤م.

أنه لم يفصل بين وجود الله ووجود العالم بل وحد بينهما لذلك ف " العالم هو الله إنه كائن حساس وإن كان بلا أعضاء حسية." (١)

قام نظره الفلسفي على جعل الله هو الحقيقة الوحيدة والفريدة؛ لأنها ثابتة وأزلية وحاضرة بكليتها ... كان أول من عين الماهية المطلقة التي سماها الله مع نفيه للكون والفساد والتغير والحركة، وهو يرى الواحد وحده الموجود وهو وحده المبدأ. (٢) يعده أرسطو أول الفلاسفة الذين قالوا بالوحدة، وخرجوا بذلك عن العرف الذي ساد في الأوساط الفكرية منذ عهد طاليس، وقام على تعدد المبادئ. (٣)

(فاكزينوفان) يقول بإله واحد هو الأكبر وهو ليس إلهًا خارجًا عن العالم، ولا فوقه بل كعقل مطلق متحد بهذا العالم غير منفصل عنه، ومدبر له، فهو من أصحاب مذهب الوحدة الحلولية الذي يجعل الطبيعة هو الله والله هو الطبيعة، ويرفع خصائص الوجود عن العالم الطبيعي. لم يعتقد أن العالم شيء والله شيء آخر يحكمه وهو منفصل عنه كما يحكم القائد جنوده، بل الله والعالم حقيقة واحدة، (٤) فنجده يجمع بين الله والطبيعة في بوتقة واحدة " وتحدث عن الله بوصفه الطبيعة، وعن الطبيعة بوصفها الله." (٥)

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، وولتر ستيس، تر: د/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٤٦،

دار الثقافة - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٨٤م.

(٢) الدليل الفلسفي الشامل، ٣ / ١٤١، ١٤٢.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ ماجد فخري، ص: ٣٤، دار العلم للملايين - لبنان، ط:

١، ١٩٩١م.

(٤) قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٤٠، دار الكتب

المصرية، ط: ٢، ١٩٣٥م.

(٥) ربيع الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ١١٨، مكتبة النهضة المصرية،

ط: ٣، ١٩٤٢م.

هاجم آلهة هوميروس الماجنة بل هاجم فكرة تشبيهه الله بالإنسان من أساسها قائلاً أن الله واحد،<sup>(١)</sup> كما حمل حملة شديدة على الآلهة المتعددة المنظور إليها نظرة إنسانية خالصة وحاول أن يجعل الآلهة هي الطبيعة؛<sup>(٢)</sup> لذلك نجد الإله عنده يعلو على كل الآلهة والبشر، وأنه لا يشبهه الفانين في الصورة ولا في الفكر.<sup>(٣)</sup>

تعيين الواحد الاكزينوفاني لا إشكال فيه حيث يتماهى مع الطبيعة أي أن إله (إكزينوفان) هو الكون، فكل الأشياء واحدة وتلك الكينونة الواحدة هي الله.<sup>(٤)</sup>

"لم تر الدنيا ولن تر إلى الأبد رجلاً يستطيع أن يعرف الإله معرفة صحيحة دقيقة .. وحتى لو شأنت المصادفة لإنسان أن يقول في الله الحق كاملاً فهو نفسه لن يعرف أنه يقول الحق"<sup>(٥)</sup>.

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٦٢.

(٢) ربيع الفكر اليوناني، ص: ٨٨، ٨٧.

(٣) كزينوفان والفلسفة الإيلية، د/ الطيب بو عزة، ص: ٧٠، مركز نماء للبحوث والدراسات - الدار العربية للطباعة - لبنان/ الرياض، ط: ١، ٢٠١٦م.

(٤) كزينوفان والفلسفة الإيلية، ص: ٩٠.

(٥) قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ص: ٣٩.

## ثانيا: الواحدة عند (بارمنيدس)<sup>(١)</sup>:

لعل هذا الفيلسوف مع (هيراقليطس) أهم فلاسفة اليونان قبل (سقراط) وعند البعض أنه أهم من (هيراقليطس)؛ لأنه أثر تأثيرا كبيرا على (أفلاطون) و(أرسطو) ولا يزال يدرس حتى اليوم ويحظى باهتمام فلسفي كبير.<sup>(٢)</sup>

تقوم فلسفة (بارمنيدس) الميتافيزيقية على أساس أن الوجود واحد غير متحول قط لا ينقسم ولا بداية له ولا نهاية .... وهو عبارة عن وجود الكل أي العالم أو الكون بأسره<sup>(٣)</sup> أي أن العالم كان موجودا منذ الأزل، فلا يحد بزمان ولا يسبقه عدم، فالصورة التي لديه عن العالم الطبيعي صورة هندسية وواحدة وواضحة،<sup>(٤)</sup> وليس المراد من القول بأن مذهبه واحد أنه وحد بين وجود الله والعالم في وحدة واحدة؛ فهو لم يعترف أصلا بوجود الإله، فالعالم واجب الوجود بذاته ولا يستند في الأصل إلى موجد أو سبب وعلة، بل المراد من وصفه بالواحدة كون وجود العالم عنده يوصف بالوحدة وليس بالكثرة والتعدد؛ لذلك "عارض (بارمنيدس) المذاهب الطبيعية؛ لأن الوجود عنده

---

(١) بارمنيدس: (نحو ٥٤٠ - ٤٥٠ ق. م) من أبرز فلاسفة اليونان قبل سقراط ولد نحو ٥١٥ قبل الميلاد بإيليا جنوب إيطاليا علي الساحل الغربي وكانت ثغرا أيونيا إغريقيا، أحد أعلام المدرسة الإيلية، قدره أفلاطون لعمق فكره فسماه الكبير. من مؤلفاته: (في طبيعة الأشياء)، وهي عبارة عن قصيدة كبيرة لم يصلنا منها سوي مائة وستين بيتا.

ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفنى، ٢٥٢ / ١، الدليل الفلسفي الشامل، ١ / ١٨٨، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١ / ١٨٢، معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ١٣٨.

(٢) الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، د/ عزت قرني، ص: ٥٣، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، بدون رقم طبعة، ١٩٩٣م.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ ماجد فخري، ص: ٣٩.

(٤) ينظر: معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ١٣٨.

واحد لكن في الطبيعة تعدد وهو يأبى إلا أن يكون الوجود واحداً<sup>(١)</sup>.  
كان المبدأ الأول للأشياء عنده هو الوجود غير المختلط تماماً  
باللاوجود وهو خال كلية من كل صيرورة وطابع الوجود يصفه في معظمه  
بسلب من السلوب ... الوجود لا ينشأ من أي شيء آخر غير نفسه، وهو  
لا ينتقل إلى شيء غير نفسه وهو يملك وجوده كله في ذاته وهو لا يعتمد  
على أي شيء آخر من أجل وجوده وحقيقته<sup>(٢)</sup>. فليس هناك علة أولى نشأ  
منها العالم بل يصبح موجوداً بذاته، ولا يحتاج إلى موجد بوجوده، وقد أكد  
(بارمنيدس) على أقدمية الوجود وأزليته فلا يخضع لكون ولا فساد،<sup>(٣)</sup> فالعالم  
ليس حادثاً فلم يخرج من العدم ولا يوصف بالفناء بل يستمر في الوجود إلى  
ما لا نهاية.

الوجود الحقيقي لا يعرف عند (بارمنيدس) إلا بالعقل أو الفكر، والقول  
بأن الحقيقة تكمن في العقل وليس في الحواس هو الموقف الأساس في  
الفلسفة المثالية،<sup>(٤)</sup> فمذهبه في الوجود قد أقامه على أساس منطقي عقلي  
سرف لا يعتمد على أي خبرة حسية،<sup>(٥)</sup> والوجود عنده هو الموجود  
أو المدرك بالحواس فقط والصيرورة وهم والوجود واحد طالما أن الكثرة وهم  
أيضاً،<sup>(٦)</sup> لكن الحديث عنه وتصنيفه على أنه فيلسوف مثالي أمر فيه بحث

(١) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د/ أميرة حلمي مطر، ص ٩٣، دار قباء -  
القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٩٨م.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر سيتس، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٤٨.

(٣) فلاسفة يونانيون العصر الأول، د/ جعفر آل ياسين، ص: ٦٠، مطبعة الإرشاد -  
جامعة بغداد، ط: ١، ١٩٧١م.

(٤) تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر سيتس، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٤٩.

(٥) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د/ أميرة حلمي مطر، ص: ٩٠.

(٦) تاريخ الفلسفة (المجلد الأول: اليونان وروما)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد  
الفتاح إمام، ص: ٨٨، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٢م.

ونظر؛ وذلك لأن " الواحد عند (بارمنيدس) حسي ومادي،"<sup>(١)</sup> وكذلك على الرغم من أنه أقر التفرقة بين الحس والعقل؛ فإنه لم يعن بذلك أن يقيم عن طريقها مذهباً مثالياً بل أقام مذهباً في المادية الواحديّة يعتبر فيه الحركة والتغير وهم فالعقل وحده هو القادر على إدراك حقيقة الواقع.<sup>(٢)</sup>

فلذلك ينسب (بارمنيدس) إلى الفلسفة المادية وليس المثالية؛ لأنه قال بأن حقيقة الكون وجود مطلق غير مقيد، ولكنه يشغل حيزاً من مكان وهو كرة في شكله،<sup>(٣)</sup> لكن فكرة الوجود الحقيقي الذي لا يعرف إلا بالعقل أو الفكر والتي أنشأها (بارمنيدس) كانت هي النواة التي أقامت عليها المثالية مذهبها ومبادئها ففلسفته على أقل تقدير تشكل بداية المذهب المثالي.<sup>(٤)</sup>

كما يمكن التدايل على ذلك أيضاً من خلال وصفه للوجود بأنه مطلق وتام ولا شيء خارج عنه وهو محدود، وليس وصفه بالحد نقصاً بل كاملاً؛ لأن اللامحدود عند اليونان ناقص، أما وصفه بأنه لا نهائي فيعني أنه متصل ببعضه كالكرة ليس له نقطة بداية ولا نقطة نهاية غير أن وصفه بالامتلاء يعني أي صفة مادية لهذا الوجود العقلاني الذي انتفت عنه جميع صفات العالم المحسوس؛ مما يؤكد أن (بارمنيدس) قد قدم الأساس الأول لكل المذاهب المثالية عند اليونان.<sup>(٥)</sup>

فما يهمننا في هذا المقام أنه قال بالواحديّة لفظاً وشكلاً وموضوعاً؛ ويتضح ذلك من خلال دفاعه عن السكون وإثباته له، ونفيه للحركة وإبطاله

(١) السابق، ص: ٨٩.

(٢) السابق، ص: ٩٠.

(٣) قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ص: ٤٣.

(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة (ج ١: اليونان وروما)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد

الفتاح إمام، ص: ٩٣.

(٥) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د/ أميرة حلمي مطر، ص: ٩٤.

لها، فالوجود عنده واحد ومتصل ومطلق ولا يقبل القسمة، وهذا الواحد كل متجانس فهو ملاء لا يتحرك؛ لأن كل حركة تقضى إلى انقسام وانفصال،<sup>(١)</sup> فبينما أثبت (إكويوفان) كما سبق وجود الإله ووجد بين وجوده ووجود العالم نجد هنا (بارمنيدس) لا يعترف أصلا بوجود إله خالق للعالم، أو متمايز عنه، فالوجود عنده واحد فقط وهو وجود العالم الذي لا يستند في الوجود إلى علة، ولا يرجع إلى مؤثر.

ثالثا: الواحدية عند (زينون الإيلي)<sup>(٢)</sup>:

لا يخلف (زينون) في المذهب الفلسفي عن أستاذه (بارمنيدس) فسلك نفس مسلكه الواحدية، ورفض التعدد، وأثبت الوجود والمبدأ الواحد؛ فكان نصيرا قويا لآراء أستاذه، ودافع عنه ضد المعارضين؛ فأبطل تعدد المباديء في الكون، ونفي الحركة،<sup>(٣)</sup> لم يأتي بشيء جديد في الطبيعيات؛ لأن أستاذه قد قال كل شيء، وبما أن مذهب (بارمنيدس) في الوجود قام علي أصليين

(١) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، د/ أحمد فؤاد الأهواني، ص: ١٥٣، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط: ١، ١٩٥٤م.

(٢) زينون الإيلي (ولد نحو ٤٩٠ إلى ٤٨٥ ق.م - ٤٣٠ ق.م): فيلسوف يوناني وأحد أتباع بارمنيدس وهو من أصل فينيقي علي ما يذكر بعض المؤرخين، كتب باليونانية ولد في إيليا، ينسب إلي المدرسة الإيلية التي يعد أحد أعلامها، جعل منه أرسطو مؤسس الجدل، فكان يدحض المحاور؛ انطلاقا من مسلماته بالذات، اشتهر بكتاباتة عن الوجود الواحد الثابت؛ وذلك بإظهار أن الكثرة والحركة تؤديان إلي نتائج متناقضة من الناحية المنطقية، من مؤلفاته: في الطبيعة، تحليل نقدي لأمبادقولوس، في الاعتراضات.

ينظر: الدليل الفلسفي الشامل، ٢ / ٦١، معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ٣٤٦، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١ / ٥٢٧، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني، ١ / ٦٩٤.

(٣) يراجع: تاريخ الفلسفة (المجلد الأول: اليونان وروما)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ١٠٠، ويراجع أيضا: الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون، د/ عزت قرني، ص: ٦٣.

هما: الوحدة، والثبات، فكانت الحجج التي أقامها (زينون) موجهة ضد التعددية، وضد من يثبتون الحركة وهم (الفيثاغوريون)، واتبع في ذلك طريقة الجدل<sup>(١)</sup>.

رابعا: الواحدية عند (ديمقريطس)<sup>(٢)</sup>:

ينسب إلى (ديمقريطس) أنه أول من وصل عن طريق التخمين إلى أن جميع الأشياء تتألف من دقائق صغيرة تعتبر كل منها وحدة قائمة بذاتها،<sup>(٣)</sup> فهو صاحب المذهب الذري والأصل فيه أن الذرة جزء لا يتجزأ، وأنها أزلية أبدية ثابتة لا تتغير، ولا تختلف الذرات بعضها عن بعض إلا في الحجم.<sup>(٤)</sup>

فالعالم لم ينشأ من العدم ولم يحدث من الفراغ أي أنه قديم في مادته

(١) ينظر: ربيع الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ١٢٦، ١٢٧.

(٢) ديمقريطس (نحو ٤٦٠ - ٣٦١ ق.م): ولد في أديرا من أعمال تراقية باليونان، واشتهر بأنه الفيلسوف الضاحك، كان من أغزر الفلاسفة إنتاجا؛ فألف نحو ستين كتابا تناولت أغلب العلوم والفنون، فألف في النحو والفلك والطبيعة والحواس والألوان، بقيت معه الفلسفة علما عاما للطبيعة والإنسان، وانقسمت إلى أقسام محددة طبقا للميادين التي تعالجها فله تصانيف في الطبيعيات: (الكوسمولوجيا الكبرى)، تصانيف في الرياضيات وفي جملتها الفلكيات (مسائل في السماء) وتصانيف في التقنية وأخري في الفيلولوجيا، في الفضيلة، في طبيعة الإنسان، فيثاغورس أو (تصرف الحكيم).

ينظر: معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ٣٠٧، الدليل الفلسفي الشامل، ١/ ٥٣٠، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفنى، ١/ ٦٠٧، ٦٠٨، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١/ ٤٥٥.

(٣) ديمقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتي عصورنا الحديثة، د/ علي سامي النشار - د/ محمد عبودي إبراهيم - د/ علي عبد المعطي محمد، ص: ٨٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون رقم طبعة، ١٩٧٢م.

(٤) ينظر: خريف الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ١٦٩، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٥، ١٩٧٩م.



التي منها نشأ، والأجسام تتألف من جزئيات مادية غير قابلة للانقسام وهي في حركة متواترة، وتنتج الأجسام المتنوعة بفضل انصهارها وكل شيء يتربط بفعل حتمية ميكانيكية لا تخطئ، فالأجسام تتولد من انصهار الذرات وتختفي بانفصالها،<sup>(١)</sup> فالعالم قديم بمادته ويحتوي بداخله على القوانين التي تسيره وتدبر شؤونه وتكون وفق آلية ميكانيكية حتمية لا تحتاج لوجود خالق. اختلف (ديمقريطس) مع المدرسة الإيلية حين ذهب إلى أن الوجود يحتوي إلى جانبه العدم والخلاء، ولم ينكر التغيرات، ولم يعدها من خدع الحواس؛ فالتغير شيء حقيقي، والأشياء ليست واحدة بل كثيرة وهذه الكثرة ليست محصورة بل هي كثرة لا نهائية، فالوجود يتكون في الأصل من أجسام لا متناهية في العدد.<sup>(٢)</sup>

يمكن القول بأن مذهب (ديمقريطس) الذري كان وسطا بين واحدة الإيليين من جهة وتعددية أو كثرة الفيثاغوريين من جهة أخرى، أما أنه فيلسوف واحد فذلك يتضح في قوله بأن الذرات متماثلة، ولا تختلف إلا بالعدد والصورة والتماس والحركة، فقد اعتقد (ديمقريطس) أن كل شيء مكون من ذرات (المكون الأساس والنهائي للمادة) والذرات لا تقبل الانقسام من الوجهة المادية وإن كانت قابلة للانقسام من الوجهة الهندسية.<sup>(٣)</sup>

حاول (ديمقريطس) التوفيق بين الواحدة التي اعتقها كمبدأ وكفكرة وبين كثرة الظواهر وتغيرها؛ وذلك على أساس أن الواحد غير المتغير ينقسم وأن أجزاءه يمكن أن تتحرك بفضل وجود مكان فارغ، ومن ثم فإن هذه الأجزاء يمكن أن تقيم كل تغيرات عالم التجربة؛ فقبل وحدة العالم وأبديته،

(١) يراجع: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١/ ٤٥٦.

(٢) ينظر: ربيع الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ١٥١، وله أيضا: موسوعة

الفلسفة، ١/ ٥٠٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، ط: ١، ١٩٨٤م.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الأول - السابقون علي

السوفسطائيين)، د/ مصطفى النشار، ص: ٣٠١، دار قباء - القاهرة، ١٩٩٨م.

فلا شيء يمكن أن يضاف إلى العالم ولا شيء يمكن أن يخرج منه، فالعالم لا متناهي؛ لأنه لم يخلق بأي وسيلة بواسطة أي واحد أو أي شيء،<sup>(١)</sup> ويسير وفق قانونه الخاص بطريقة حتمية ميكانيكية كما سبق.

والذرات عنده لا متناهية في العدد ويصعب إدراكها بالحواس؛ لأنها صغيرة جدا وهي إن كانت متشابهة من حيث المادة وعدم قبولها للقسمة؛ إلا أنها تختلف من حيث الشكل الوضع والترتيب،<sup>(٢)</sup> فهي لا تختلف في الكيف وإنما تختلف من حيث الكم وهي كانت منتشرة منذ الأزل في ذلك الخلاء اللانهائي.<sup>(٣)</sup>

تكون العالم عند (ديمقريطس) من تطاير الذرات الصغيرة والكروية إلى الخارج، وبقيت الذرات الكبيرة في المركز، فتكونت الأرض، وظهرت الحياة؛ نتيجة التولد الذاتي (فليس هناك خالق، ولا علة فاعلة للعالم من فوق)، فالإنسان عنده نشأ من الطين بغير خلق أو غاية، ويرد اعتقاد الناس في الآلهة إلى عدم قدرتهم على تفسير هذه الظواهر التي تفزعهم؛ فلو كانوا استطاعوا تفسيرها تفسيراً علمياً؛ لم يكونوا بحاجة للاعتقاد في أن الآلهة هي سبب هذه الظواهر الطبيعية، ويتلخص اعتقاده في الآلهة بالقول بأن هناك شكلاً من أشكال الذرات يحتل مكانة ممتازة وهو: الشكل الدائري الذي يخضع لنظام النار والعقل، فالآلهة لدية مادية تتكون من الذرات النارية التي تشبه الأنفس فينا، والدليل على وجودها أننا نراها أو قل إنها تزورنا وبخاصة في الأحلام<sup>(٤)</sup>. فيمكن الربط بين رأي (ديمقريطس) ورأي (بارمنيدس)، فكلاهما يتفقان على عدم وجود علة فاعلة من فوق، وخالق لهذا العالم الذي

(١) ينظر: ديمقريطس فيلسوف الذرة، ص: ١٩.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، د/ مصطفى النشار، ص: ٣٠٢.

(٣) السابق، ص: ٣٠٥.

(٤) ينظر: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية،

د/ مصطفى النشار، ص: ٦١، ٦٢، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط: ٢، ١٩٨٨م.

يحتوي داخل ذاته علي علة وجوده.

خامسا: الواحدية عند (أفلوطين)<sup>(١)</sup>:

يعد (أفلوطين) أحد الفلاسفة الذين يوصف اتجاههم بالاتجاه الواحدية، فعنده مباديء ثلاثة للوجود يتصدرها المبدأ الأول أو الواحد الذي يعلو علي الوجود، ويتعذر الإفصاح عن حقيقته؛ لأنه فوق الوصف وعنه ينبثق المبدأ الثاني المتصف بالوجود والإدراك معا وهو: العقل، وأخيرا: النفس المبدأ الذي يصل العالم العقلي بالعالم الحسي،<sup>(٢)</sup> كما نسب القدم إلي العالم بمعني بقاء الأصل النوعي، فنجده يقول " فالعالم لا يفسده شيء من الخارج بل كانت أجزاؤه يفسد بعضها بعضا،"<sup>(٣)</sup> وكذلك ينسب الخلود إلي العالم، فيقول: "فإذا كان يجري في ذاته ولا يخرج منه؛ فإنه باق هو هو لا زيادة فيه ولا نقصان فيه بل لا يدركه الهرم"<sup>(٤)</sup>

تجاهل (أفلوطين) المبدأ الفلسفي القائل بأن الواحد المستخلص من كل كثرة هو تجريد مستحيل، واختار الواحدية طريقا ومذهبا، فقال بأن الله

---

(١) أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠م): ولد بمصر وتعلم بمدرسة الإسكندرية الفلسفية، كان أستاذ (فورفوريوس) الذي جمع تعاليم معلمه بعد وفاته ونظمها ورتبها في مجموعات سميت التاسوعات أو الإنياداة، خلف مؤلفات كتبها جميعا في وقت متأخر، وهي ليست عرضا منظما لمذهبه، وإنما هي في الواقع إجابات مختلفة عن أسئلة كان الدافع في الغالب إلي إثارتها نصوص أفلاطون وأقواله، ولهذا كان يبدو عليها طابع التناثر والمناسبات أكثر من طابع التنظيم والتأليف المقصود.  
ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني ١/ ١٦٥، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١/ ١٠٧، موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ١/ ١٩٦.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ ماجد فخري، ص: ١٩٥.

(٣) تاسوعات أفلوطين، تر: د/ فريد جبر، ص: ١١٥، مكتبة لبنان ناشرون، ط: ١، ١٩٩٧م.

(٤) السابق، ص: ١١٦.

واحد علي الإطلاق وهو الوحدة الكامنة وراء كل كثرة وفيه لا يوجد تعدد أو حركة أو تمايز ... والله ليس فكرا ولا إرادة ولا نشاط وهو وراء كل فكرة وكل وجود وهو لا متناهي بشكل مطلق، ولا يمكن تحديده، ولا نعرف من صفاته سوي الوجود فقط،<sup>(١)</sup> فحتي لو كان هناك ثلاث مبادئ للوجود حددها (أفلوطين) كما سبق، إلا أنه وحد بين تلك المبادئ الثلاث في وحدة واحدة، فهي ليست منفصلة متميزة مستقلة في الوجود علي الحقيقة، بل ترتبط في النهاية وتتحد ليتشكل موجود واحد فقط.

كانت فلسفة (أفلوطين) وصف لطريقين: أحدهما: هابط تدريجيا من الواحد أو الخير إلي العقل الكلي الذي يحوي المثل إلي النفس بأنواعها المختلفة إلي أدني الحقائق أي الأجسام المحسوسة، فثمة طريقان في فلسفته أحدهما: طريق ميتافيزيقي يسير من الواحد إلي الكثرة، وطريق صعود صوفي: يتلخص في العودة من الكثرة إلي الوحدة الأصلية، ويتضمن نظرية أخلاقية.<sup>(٢)</sup>

اختار (أفلوطين) الشعر والاستعارة والتمثيل لكي يجيب عن السؤال كيف نشأ العالم عن الله،<sup>(٣)</sup> فلم يسلط طريقا منطقيا أو عقليا في الجواب، وإنما لجأ إلي تفسير خروج العالم عن الله باستخدام نظرية الفيض،<sup>(٤)</sup> فالفيض الأول من الواحد هو: العقل (الفكر)، والعقل ليس فكرا منطقيا، فهو ليس في الزمن؛ إنه استيعاب مباشر أو حدس، والفيض الثاني: تصدر النفس - العالم من العقل الذي يعد نسخة باهتة منه، وهو خارج الزمن وغير

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، وولتر سيتس، تر: د/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) ينظر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د/ أميرة حلمي مطر، ص: ٤٠٩.

(٣) ينظر: قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ص: ٣٢١.

(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، وولتر سيتس، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٣٠٤.

جسماني وغير منقسم، وهو يتطلع إلي العقل من جهة ويطل علي عالم الطبيعة من جهة أخرى، وهو ينتج من نفسه النفوس الجزئية التي تسكن العالم التي لا تتطلع إلي الله من الخارج بل متحدة مع الله وتصبح هي الله. (١)

لذلك كانت فلسفة (أفلوطين) في عداد الفلسفات الواحدية فانه منبثا في الأشياء مختلطا بها غير متميز عنها، فالأول يحوي كل شيء؛ لأن الأدنى حاضر في الأعلى، فالجسم في النفس، والنفس في العقل، والعقل في الأول، والواحد في كل مكان موجود في كل شيء بحسب استعداد كل شيء لتقبله. (٢)

#### نقد وتعقيب:

ما سبق عرضه كان تطبيقا عمليا لفكرة الواحدية في العصر الفلسفي القديم، واستدللا عليها من خلال فلاسفته، وربما يمكن القول تجاوزا بأن الفكر قد وصل إلي درجة من النضج الفكري جعلته يدرك فكرة التوحيد، ويدافع عن وجودها، ويعبر عنها من خلال الفلسفة غير أنهم لم يصلوا في النهاية إلي الغاية المقصودة، ويدركوا ما ينبغي بالعقل السليم والفطرة السوية إدراكه، وهي ضرورة الإقرار بوجود خالق لهذا العالم مفارق له، ومتمايز كل التمايز عنه قال تعالي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣) لا يوصف بالتشبيه ولا بالتجسيم، ولا يدرك عن طريق الحواس، فالمدرسة الإيلية من خلال آراء أعلامها الثلاثة (إكزینوفان - بارمنيدس - زينون) نجدهم يقولون بالوجود المطلق المجرد، وينكرون الوجود الحسي، وينسيون

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، وولتر سيتس، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص: ٣٠٥، ٣٠٦.

(٢) مع الفلسفة اليونانية، د/ محمد عبر الرحمن مرحبا، ص: ٢٤٤، منشورات عويدات - باريس/ لبنان، ط: ٣، ١٩٨٨م.

(٣) سورة الشوري، الآية رقم: ١١.

إلي عالم الأشياء بأنه عالم الوهم أو الوجود غير حقيقي، وهذه مسألة بعيدة كل البعد عن الصواب، ويكذبها الواقع المشاهد، والإدراك العقلي البسيط، فكيف يستوعب العقل الإنساني فكرة عدم وجود الأشياء التي يراها ظاهرة أمامه، وواقعة بالفعل، ومشاهدة بالعين المجردة مما يضيف نوعاً من الغرابة علي فلسفتهم، ووصفا لها بالغموض، ومناقضتها لأبسط قواعد المنطق السليم.

كذلك كيف يمكن استيعاب قول (إكزبنوفان) بأن الله كائن حساس، وإن كان بلا أعضاء حسية، فمادام اعترف بأنه لا يمكن أن يكون الله بأعضاء حسية كان ينبغي به في النهاية القول بأنه ليس كائن حساس أصلاً، فهو يثبت القول وينفيه في نفس الوقت، كذلك كيف يكون الوجود الحقيقي عند (بارمنيدس) يعرف عن طريق العقل أو الفكر فقط؛ فلو شاهد إنسان آخر هل يمكن القول بأن ذلك الشخص الآخر لا يعد موجوداً إلا بعد إدراك وجوده عن طريق العقل أو الفكر كيف وهو ظاهر للعيان واضح للمشاهدة!

ومن المدرسة الإيلية اليونانية ننتقل إلى المدرسة الذرية فبالرغم من أن (ديمقريطس) قد أحدث ثورة في تاريخ الفكر الفلسفي؛ نتيجة لقوله بالنظرية الذرية تلك النظرية التي امتد أثرها طويلاً في الفلاسفة من بعده، واعتمد عليها المتكلمون في إثبات الصانع عن طريق إثبات نظرية الجواهر الفرد، وإثبات الجزء الذي لا يتجزأ، ولا زالت تتردد أصداً لها في العصر الحديث، ونجد لها مؤيدين، ولكن نتيجة لمغالاة (ديمقريطس) في تطبيقها توصل إلي أن العالم كآلة يسير وفق قوانين حتمية ميكانيكية، فرفض فكرة الاحتمالية فضلاً عن التسليم بإمكانية انقلاب الأضداد؛ نتيجة للقدرة الإلهية التي تقول للشيء كن فيكون قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>(١)</sup>، هذا فضلا عن عدم إثباته للعناية والرعاية الإلهية لهذا العالم الذي يسير فيه كل شيء بقدر، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ويمكن التوصل من خلال النظر في الكون وآفاه إلى أدلة عديدة علي وجود الخالق وإثبات الصانع، قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

صحيح كان (ديمقريطس) علي صواب في إثباته للخلاء، وعدم إنكاره للتغير، واعترافه بالعدم بخلاف المدرسة الإيلية، وعلي الرغم من إدراكه لنظرية في غاية التعقيد بحجم النظرية الذرية، لم يستطع أن يدرك فكرة وجود الإله الخالق المدير للكون مما يعد دليلا علي قصور العقل البشري، واحتياجه إلي وجود الرسل والأنبياء الذين بعثهم المولي؛ ليكونوا حجة علي خلقه، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٤)</sup>

ومن (ديمقريطس) إلي (أفلوطين) الذي فشل في العثور علي حل منطقي، ومخرج عقلي يفسر كيفية خروج الكثرة المتغيرة من الواحد الثابت، فلجأ إلي نظرية الفيض التي لا يمكن إثباتها بأدلة العقل وقواعده، وسبل المنطق والبرهان فضلا عن تهاويها وعدم صمودها في ميزان النقد العلمي الموضوعي، ثم وهي وإن كانت ملزمة (لأفلوطين) بناء علي رأيه هو وهواه وميله الشخصي، فلا تكون ملزمة لغيره مادامت مستحيلة الثبوت، كذلك لا تتفق معه الباحثة في فكرة تساوي الثلاثة للواحد، ولا فكرة كون الواحد منبثا

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

في الأشياء مرتبط بها غير منفصل عنها، لأن فكرة التركيب من أجزاء أصلا تعني الاحتياج والله سبحانه وتعالى غير محتاج فهو الواحد الأحد قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: الواحديّة في العصر الأوروبي الوسيط:

لما كان هذا البحث يدور حول الواحديّة في الفكر الفلسفي كما ورد النص علي ذلك في العنوان؛ فقد خلي من ذكر ما يتوهم أنه يدخل من قبيل الواحديّة، وذلك كفكرة وحدة الوجود في التصوف الإسلامي الفلسفي، فهي ليست مدار هذا البحث ولا أحد مباحثه ولا تدخل ضمن إطاره، ولما كان مفهوم الألوهية من المفاهيم الواضحة في التصور الإسلامي، فلا يدور حولها خلاف ولا لبس أو غلط في المفهوم في الفكر الإسلامي الذي أيقن الفرق جيدا بين حقيقة الإله الخالق الواحد وحقيقة العالم المخلوق المتغير الفاني، فقد خلت الواحديّة في العصر الوسيط من العنصر الإسلامي، وكان تخصيصها بالعنصر المسيحي اللاهوتي فقط.

### الواحديّة عند (جون سكوت أريجينا)<sup>(٢)</sup>:

استقي (جون سكوت أريجينا) من الفلسفة اليونانية صورة حياة للكون تتردد تناوبيا بين الخروج من الله، والذوبان فيه، وعبر عن هذه الصورة من

(١) سورة الإخلاص، الآيات من ١ إلي ٤.

(٢) يوحنا سكوت أريجينا (٨١٠ - ٨٧٨م): فيلسوف ولاهوتي أيرلندي كتب باللاتينية، وتلقى تعليمه الأولي في أحد الأديرة، تميز بالإمام التام والإحاطة الواسعة باليونانية التي كانت معرفتها نادرة في عصره، واتسم سلوكه الفلسفي بالإغراق في التأمل، من مؤلفاته: في الجبر، في القسمة الطبيعية، شروح علي الهرم الكنسي للقديس ديونيسيوس، في الواجبات الإلهية، في الأسرار الطاهرة والمواعظ.

ينظر: الدليل الفلسفي الشامل، ٢ / ٩١، ٩٢، معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص:

٣٦٨، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١ / ٥٦٤.



خلال كتابه في قسمة الطبيعة الذي يحتوي علي تأويل إجمالي للمركزية الإلهية المسيحية بالمركزية الإلهية الأفلاطونية، فالله يفيض علي الخليقة، ثم ترجع الخليقة إلي الله الذي منه المبدأ وإليه الغاية في النهاية<sup>(١)</sup>

تنقسم الطبيعة وفق جميع الفروق المنطقية وكأن انبساط الوجود ليس إلا الانقسام المنطقي للجنس إلي أنواعه، فهناك أولا الطبيعة التي تُخلق ولا تُخلق، وذلك هو الله بوصفه مبدأ الأشياء، ثم هناك الطبيعة التي تُخلق وتُخلق، وذلك هو الكلمة المنبثق عن المبدأ، والذي ينتج العالم الحسي، وهناك أخيرا الطبيعة التي لا تُخلق ولا تُخلق، وذلك هو الله بوصفه الغاية الأخيرة التي فيها تجد حركة الأشياء التي تطلب الكمال حدها.<sup>(٢)</sup>

نجد مصطلح الطبيعة بالنسبة (لجون سكوت) لا يعني فقط العالم وإنما يعني أيضا الله والمحيط الذي يتجاوز الطبيعة، وهو الحقيقة الكلية فهو يجعل الله والعالم ضمن أطر الطبيعة؛ وهذا يعد دليلا علي الواحدية، فنجده يذهب إلي أن العقل البشري عندما ينشط يتحول إلي أفكار، فكذلك يتجلي الله فيما يخلقه من الخلائق بمعنى أن الخليقة تصبح بمثابة تحقيق للذات الإلهية.<sup>(٣)</sup>

وضع (جون اسكوت) الله فوق كل المقولات، واعتبره سبب كل الأشياء، ونزحه عن كل تأكيد أو نفي، أما القسمة الثانية للطبيعة فتضمن الكائنات المخلوقة التي تملك قدرة الخلق وهي عبارة عن المثل التي خلقها

(١) يراجع: تاريخ الفلسفة (العصر الوسيط والنهضة)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ٣/ ٢٩ إلي ٣١، دار الطليعة - لبنان، ط: ٢، ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: السابق، ٣/ ٣١، ٣٢.

(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة (من أوغسطين إلي دانز سكوت) المجلد الثاني - القسم الأول، فريدريك كويلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح - د/ إسحاق عبيد، ص: ١٦٣، ١٦٤، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٠م.

الله في الكلمة الإلهية التي تعيش في داخله متعممة بالأزلية<sup>(١)</sup> يمكن القول بأن مسألة العلاقة بين الخالق والمخلوق عند (جون اسكوت) ليست واضحة المعالم، وهي بمثابة الفكرة المضطربة التي لا يسير الفكر فيها وفق قواعد ومبادئ منطقية، بل ربما نجده يثبت الفكرة ونقيضها في وقت واحد، فهو يثبت بأن العالم أزلي أي متلازم مع العلل الأولي من منظور عقلائي، ومع المشيئة الربانية للخلق، ولكنه أزلي مخلوق بمعنى أن الله قد قدر خلقه منذ الأزل وبسبب زمن الخلق يظل خارج الذات الإلهية، ولكنه يصر بعد ذلك علي أن العالم لا يقع خارج الذات الإلهية مع تسليمه بأنه خلق من العدم الخالص.<sup>(٢)</sup>

نجد المذهب الواحدي حاضرا بصورة واضحة عند (جون اسكوت)، والدليل علي ذلك أنه يري بأن الله يخلق من كماله غير المدرك الذي يعتبره في ذاته لم يكن شيئا معينا من حيث أنه يجاوز الوجود من جميع النواحي، فالله إذ يخلق الخليقة يخلق ذاته من ذاته علي نحو خفي يفوق التصور والتعبير، فيجعل ذاته منظورا وهو غير المنظور، ويجعل ذاته مدركا وهو غير المدرك، ويتخذ لذاته ماهية وطبيعة وهو يفوق الماهية والطبيعة، ويصير عالما مخلوقا وهو خالق العالم، الأشياء جميعا موجودة في الله، والله قسمة المخلوقات، واجتماعها، حتي لا يري في المخلوق إلا الخالق وهو الموجود الوحيد الموجود حقا، أما المخلوقات فما هي إلا مشاركات في الموجود بالذات.<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ١/ ٥٦٨، ٥٦٩.  
(٢) يراجع: تاريخ الفلسفة (من أوغسطين إلي دانتز سكوت) المجلد الثاني - القسم الأول، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح - د/ إسحاق عبيد، ص: ١٧٣، ١٧٤.  
(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، د/ يوسف كرم، ص: ٧٢، مؤسسة هندواي - القاهرة، بدون رقم طبعة وبدون سنة نشر.

### نقد وتعقيب:

نلاحظ بسهولة أن هناك لبسا وخطا بين مفهوم الإله ومفهوم العالم عند (سكوت أريجينا) بطريقة جعلته في النهاية وبأسلوب غير مقبول عقليا ولا منطقيا يخلط بين وجود الله ووجود العالم؛ وذلك لأن فكرة التثليث أصلا فكرة عصية علي الفهم بعيدة عن إدراك العقل البشري مليئة بالرموز والغموض الذي جعل رجال الكنيسة جبرا يعبرون عنها في النهاية بأنها سر من أسرار الكتاب المقدس، فكانت فكرة الفيض عند (أفلوطين) - مع عدم معقوليتها واستحالة التثبيث منها كما سبق الذكر - بمثابة الملاذ الآمن والطريق المقبول لتأويل فكرة التثليث، فالله هو الخالق القديم الباقي ولا يشاركه غيره في تلك الصفات، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

### المطلب الثالث: الواحدية في العصر الحديث:

خطا العقل البشري في العصر الحديث خطوات واسعة بعد عدة عوامل تعرض لها في العصر الوسيط وفي عصر النهضة - ليس هنا مجال الحديث فيها- جعلته يدافع عن حريته واستقلاله الذاتي، فأمن العقل بقدرته علي فهم الواقع والتعامل معه بعدما كان غاية ما يطمح إليه العقل البشري في العصر اليوناني الإجابة عن التساؤلات حول أصل الكون، ومنشأه، ومصيره، وبينما كانت الفلسفة في العصر الوسيط المسيحي تستخدم من أجل خدمة اللاهوت في الغالب، نجد إنسان العصر الحديث كان أكثر جرأة في طرح المسائل الفلسفية، ويقدر ببساطة أن يتكلم في الأمور الميتافيزيقية التي كان محظورا عليه التكلم فيها، وأصبحت هناك وجهة نظر جديدة تميل إلي تقريب الإلهيات إلي الذهن بمعنى تنزيلها من

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

المقام العالي والمقدس، وجعلها مرتبطة بالوجود الإنساني والواقع المعاش، حتى أصبح وجود الله يتحقق فعليا من خلال إدراك العقل البشري كما سيأتي بيانه، وبالرغم من رفض وجود الإله الذي كان تيارا موجودا خلال عصر النهضة والعصر الحديث إلا أن الفلسفة الدينية ظلت أحد المسائل الفلسفية المطروقة بالبحث والدراسة، وظل المفهوم الواحدي حاضرا في كتابات الفلاسفة كما سيأتي.

**أولا: الواحديّة عند (برونو)<sup>(١)</sup>:**

يصف (برونو) الله بأنه كائن لا متناهي، ولما كان هو العلة اللامتناهية لكل الأشياء فلا بد أن يخلق كونا لا متناهيًا يكون معلولا لنشاطه الخلاق،<sup>(٢)</sup> ولما كان من الممتنع أن يوجد لا متناهيان كان الله والعالم موجودا واحدا،<sup>(٣)</sup> الله، والعقل، ونفس العالم، والمادة تلك الموجودات ترجع عند (برونو) إلي أفنوم واحد هو: الحياة التي هي في آن معا واحدة، وكثيرة، وبالتحديد حياة الكون ذلك الحيوان المقدس المحرم والمعبود وليست الأفراد في نظره إلا ضروريا من الجوهر الواحد، ونسبتها إلي الجوهر كنسبة الأعداد إلي الوحدة، أو بالأحرى كنسبة الوحدات المركبة للأعداد إلي

- 
- (١) جيوردانو برونو (١٥٤٨ - ١٦٠٠م): فيلسوف إيطالي ولد في مدينة نابولي دخل في صدام مع السلطة الكنسية؛ بسبب آرائه التي تعارض العقيدة المسيحية، فحكم عليه بالحرق حيا في روما، عرف بخصومة عنيدة للفلسفة المدرسية الإسكولائية، وكذلك للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وهو من أبرز ممثلي روح النهضة في الفلسفة. من مؤلفاته: العلة والمبدأ الواحد، في العالم اللامتناهي وفي العوالم، في ظلال الأفكار. ينظر: الدليل الفلسفي الشامل، ١/ ٢٢٦، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني، ص: ٢٨٩، معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، ص: ١٧٤.
- (٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، تر: د/ محمود سيد أحمد، ص: ٥٤، دار التنوير - لبنان، ط: ١، ٢٠١٠م.
- (٣) تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٤٢، مؤسسة هنداوي، بدون رقم طبعة وبدون سنة نشر.

الوحدات الأولية التي هي شروطها.<sup>(١)</sup>

يعطي (برونو) أهمية خاصة لفكرة نفس العالم من حيث أنها الفاعل المحرك؛ والسبب المحايث والملكة الأولى والأساسة لنفس العالم وهي العقل الكلي الذي هو الفاعل الفيزيائي الكلي والصورة الكلية للعالم.<sup>(٢)</sup> والذي لا يخلو من وجود الله، والاتحاد به عند (برونو)؛ لدرجة أنه ذهب إلي أن الله فوق متناول فكرنا الذي يعمل بالتمييز والاستدلال، ولكنه يصير موضوع تعقل، أو فلسفة من جهة كونه باديا في الطبيعة، أو نفسا كلية تربط بين أجزاء العالم ربطا محكما.<sup>(٣)</sup>

يصور (برونو) الطبيعة بكثرة موجوداتها بأنها تنبثق من الوحدة الإلهية الجوهرية إلي أقصى الحدود، وهناك ترتيب هرمي في الطبيعة من المادة فصاعدا إلي ما هو غير مادي، ومن الظلال إلي النور، والطبيعة عاقلة من حيث أنها التعبير عن الأفكار الإلهية، ونجد الله يوصف بأنه علة محايدة للطبيعة، وليس مفارقا لها.<sup>(٤)</sup>

رأي (برونو) أن وجهة النظر الجديدة عن العالم بعد الاكتشافات الحديثة المذهلة تستدعي تصورا جديدا لله، فلم يعد يعتقد أن الله يجلس علي عرش في نقطة محددة في مكان خارج السماء والأرض، ولكنه تأرجح بين ثلاثة تأويلات مختلفة: أولا تأويل الأفلاطونية المحدثة: الذي يري أن العالم

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة (العصر الوسيط والنهضة)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ص: ٣١٢، ٣١٣.

(٢) تاريخ الفلسفة (من أوكام إلي سوريز)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، د/ محمود سيد أحمد، المجلد الثالث/ ص: ٣٥٥، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٣م

(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٤٢.

(٤) تاريخ الفلسفة (من أوكام إلي سوريز)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، د/ محمود سيد أحمد، المجلد الثالث/ ص: ٣٥٤، ٣٥٥.

فيض من الإله الذي يعتمد عليه، والثاني: يكون الله في الحال هو العلة الفاعلة للعالم، ويكون متميزا ومختلفا عن مخلوقاته، ولا نعرف عنه في هذه الحالة إلا القليل جدا والثالث: أن يكون مبدأ باطني في داخلنا وعلة محايثة في العالم، فيمكن معرفة الكثير عنه، فالله هو أساس الواقع، والجوهر اللامتاهي للعالم المادي والروحي في وقت واحد، وبالتالي تكون المادة روحية أي شيئا إلهيا،<sup>(١)</sup> وهو الرأي الذي مال إليه (برونو)، ودافع عنه، وينسب إليه كونه فيلسوفا واحديا بسببه.

يصف (برونو) الوجود بالوحدة التي يلزم عنها أن تتفق جميع الأشياء؛ لأنها مترابطة فالأضداد التي تبدو للفكر المنطقي منفصلة متعارضة هي في الحقيقة ملتصقة متدرجة بعضها إلي البعض تدرجا غير محسوس، فهناك مبدأ واحد مشترك غير أنه يميز في هذا الواحد بين العلة والمعلول، العلة هي الله، أو الطبيعة الطابعة، أو نفس العالم هي المبدأ الذي يترجم عن نفس في مختلف الموجودات دون أن يبلغ إلي كمال تحققه في صور جزئية معينة، والمعلول هو العالم، أو الطبيعة المطبوعة، (ف نجد هنا تعبير برونو باللفظ الطبيعة الطابعة والمطبوعة الذي استخدمه اسبينوزا لاحقا) وليس التوحيد بين الله والعالم إنكارا لله؛ ولكنه تمجيد له إذ أنه يوسع فكرة الله إلي أبعد من الحدود التي يحصرها فيها الذين يجعلون من الله موجودا قائما بجانب الموجودات أي موجودا متناهيا، إن الله موجودا في كل شيء بل هو أكثر حضورا في الأشياء منها في أنفسها.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، تر: د/ محمود سيد أحمد، ص: ٥٤،

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٤٣، ٤٣

### ثانياً: الواحدة عند اسبينوزا:

تعد الفلسفة الإلهية عند (اسبينوزا) هي الأبرز والأكثر ظهوراً والتي تحوى بداخلها جماع فلسفته كلها، وتمثل نقطة البداية فيها، فتبدأ بالله وعليه ترتكز، ففكرة الله عنده ليست مجرد واحدة من الأفكار التي تعالجها فلسفته، وكلها بمعنى معين يمكن أن تعد تفكيراً في الله، ففكرة الله شاملة لكل شيء، ولما كان فهم الأشياء هو في رأيه فهم الله أيضاً، فإن كل تفكير فرعى في أي موضوع من موضوعات المعرفة يعد في الوقت ذاته تفكيراً في الله، كما أن معالم فكرة الله لا تتضح على حقيقتها إلا بعد فهم جميع الأوجه الأخرى فهما فلسفياً.<sup>(١)</sup>

من خلال دراسة فلسفة (اسبينوزا) لاحظت الباحثة أنه ميز بين ثلاث مصطلحات: الجوهر، والعرض، والحال، فالجوهر هو: "ما يوجد بذاته ويتصور بذاته أي ما لا يتوقف بناء تصوره على تصور شيء آخر"،<sup>(٢)</sup> أما الصفة: "ما يدركه الذهن في الجوهر مقوماً لماهيته"،<sup>(٣)</sup> أما الحال: "ما يطرأ على الجوهر وبعبارة أخرى: ما يكون قائماً في شيء غير ذاته، ويتصور بشيء غير ذاته".<sup>(٤)</sup>

من خلال تعريف (اسبينوزا) للجوهر نستنتج له ثلاث صفات: الأولى: أن الجوهر موجود بذاته لا بغيره فهو يستمد وجوده من ذاته فقط، ف "لا يمكن لجوهر ما أن ينتج من جوهر آخر"<sup>(٥)</sup> والصفة الثانية: أن الجوهر

(١) ينظر: اسبينوزا، د/ فؤاد زكريا، ص: ١٠٥، مؤسسة هنداوي - القاهرة، بدون رقم طبعة وبدون دار نشر.

(٢) علم الأخلاق، باروخ اسبينوزا، تر: جلال الدين سعيد، ص: ٣١، المنظمة العربية للترجمة - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٩م.

(٣) علم الأخلاق، باروخ اسبينوزا، تر: جلال الدين سعيد، ص: ٣١.

(٤) السابق، ص: ٣١.

(٥) السابق، ص: ٣٥.

لا متناه، وإلا كان محدوداً من طرف جوهر آخر من نفس طبيعته،<sup>(١)</sup> ووجود جوهر آخر محال عند (اسبينوزا)، والصفة الثالثة: أن الجوهر واحد، إذ لو كان هناك جوهران، أو أكثر؛ لكان كل جوهر يحد الآخر، ولبطل كون الجوهر جوهرًا أي متصورًا بذاته، فينحصر الوجود عنده في الجوهر فقط، فكل ما عداه لا يمكن إلا أن يكون صفة لذلك الجوهر الوحيد، أو حالاً يحل فيه؛<sup>(٢)</sup> فنتيجة لما سبق ليست هناك مراتب للوجود عنده؛ ذلك لأن الوجود ينحصر في موجود واحد ووحد فقط هو الجوهر الذي ليس هناك غيره وهو الله، كما نلاحظ إصراره على التعبير عن الجوهر بلفظ المفرد فليست هناك جواهر عنده، بل كانت فلسفته محاربة للتعدد، ودفاعاً عن وجود واحد فقط، فليس هناك تعارض عنده بين الله والطبيعة، بل جمع بينهما في معادلة واحدة يتصف طرفاها بالتساوي، ويعبر عن أحدهما بالآخر، فكانت المعادلة المعبرة عن فلسفته الواحدية الله = الطبيعة.

استخدم (اسبينوزا) للتفريق بين تصوري الله والطبيعة تعبيرياً: الطبيعة الطابعية والطبيعة المطبوعة، والطبيعة الطابعية: ما يوجد في ذاته وما يتصور بذاته أي ما للجوهر من صفات تعبر عن الماهية الأزلية اللامتناهية، وبعبارة أخرى أعنى بها الله بقدر ما يعد علة حرة، وأعنى بالطبيعة المطبوعة: كل ما يتلو من ضرورة طبيعة الله أو أي صفة من صفات الله بقدر ما تعد أشياء توجد في الله، ولا يمكن أن توجد أو تتصور من دون الله،<sup>(٣)</sup> لكن كيف نشأت الطبيعة عند (اسبينوزا)؟ أو كيف حاول التوفيق بين وجود الله الواحد الأزلي اللامتناهي والكثرة المتعددة المتغيرة التي

(١) السابق، ص: ٣٦.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ١١٨.

(٣) ينظر: علم الاخلاق، اسبينوزا، تر: جلال الدين سعيد، ص: ٦٢، وأيضاً: اسبينوزا،

د/ فؤاد زكريا، ص: ١١٩.



## تلاحظ في الأجسام؟

إن خاصية أساسية من خصائص العقل أنه يكون الأفكار الإيجابية قبل السلبية، والحال أن فكرة المتناهي فكرة سلبية، أما الفكرة الإيجابية بامتياز فهي فكرة الله الموجود المطلق في لا تنهايه، أي الجوهر الحامل لعدد لا متناه من الصفات التي تعبر كل صفة منها عن ماهية أزلية ولا متناهية.<sup>(١)</sup> فالله عند (اسبينوزا) جوهر لا متناهي يتصف بصفات كثيرة ومتعددة لا نعرف منها على وجه التحديد سوي: صفتي الفكر، والامتداد، وهناك في صفة الفكر حالا يحتوي موضوعيا نظام الطبيعة الشامل، والثابت المتمثل في مظهر الكون في جملة هذا الحال اللامتناهي هو العقل اللامتناهي عقل الله الذي يحتوي موضوعيا مع فكرة الله لا تنهاى الصفات ولا تنهاى الأحوال اللذين يلزمان عنها، وهذه الأحوال اللامتناهي أشبه ما تكون تعبير عن نظام ثابت واحد يتلبس مظهرها مغايرا في كل صفة، فالله إذن هو علتها القريبة المطلقة إنها تنتقل بنا من الطبيعة الطابعة (الله وصفاته) إلى الطبيعة المطبوعة التي تتمثل بالأحوال، ولكنها لا تخرجنا من الأزلي واللامتناهي<sup>(٢)</sup>.

فلا ينتقل (اسبينوزا) مباشرة من الجوهر اللامتناهي (الله) إلى الطبيعة أو الإنسان بل يتوسط بينهما الأحوال اللامتناهي الأزلية المباشرة وغير المباشرة، وهي أسبق منطقيا من الأحوال المتناهية،<sup>(٣)</sup> والموجودات المتناهية هي أعراض للجوهر الواحد الذي هو الله، فالعقول المتناهية هي أحوال لله من جهة صفة الفكر، والأجسام المتناهية هي أحوال لله من جهة صفة

(١) تاريخ الفلسفة (القرن السابع عشر)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي،

٢٠٤ / ٤، ط: ٢، ١٩٩٣ م.

(٢) تاريخ الفلسفة، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ٢٠٨ / ٤.

(٣) موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ١ / ١٣٩.

الامتداد، فلا تتميز الطبيعة أنطولوجيا (وجوديا) عن الله؛ لأن الله يحوي أو يضم في ذاته كل حقيقة.<sup>(١)</sup> ففي الكون جوهر واحد هو الله، ولكنه يعبر عن نفسه في مظاهر متعددة وأشكال لا نهائية، فليس هناك فرق عند (اسبينوزا) بين الله والطبيعة من حيث الجوهر بل الاختلاف بينهما يكمن في الصفات والأحوال فقط.

يذهب (اسبينوزا) إلي أن الحركة والسكون خاصية أساسية للطبيعة الممتدة أو بعبارة أخرى الكمية الكلية للطاقة في الكون تعد خاصية ذاتية له، والمقصود بالحركة والسكون أو الكمية الكلية للطاقة عند (اسبينوزا) هو الحال اللامتتاهي الأزلي غير المباشر لله، أو الطبيعة من جهة صفة الامتداد، فالكون الفيزيائي هو نسق من أجسام متعددة تتحرك قائمة بذاتها<sup>(٢)</sup>. أي أن الله لا يعد علة فاعلة تؤثر في الطبيعة وتتحكم فيها، بل الطبيعة علة ذاتها وتحتوى بداخلها علي القانون الخاص الذي يسيرها دون الحاجة إلي القدرة الإلهية.

يمكن القول بأن الطبيعة الطابعة هي الإله/ الطبيعة في حالة اكتمال، أما الطبيعة المطبوعة فهي الإله/ الطبيعة في حالة صيرورة آخذا في التحقق في المادة... الإله في نسق (اسبينوزا) هو مجرد علة أولى أو قانون لا يعلو على المادة بل يحل أو يكمن فيها، فهو النظام الثابت المحدد للطبيعة أو سلسلة الحوادث الطبيعية التي هي الحركة الآلية التي تعبر عن القوانين الثابتة.<sup>(٣)</sup>

إن كل ما تقوله لنا أصول العقيدة المسيحية عن إله خالق يقرر بملء

(١) تاريخ الفلسفة (الفلسفة الحديثة من ديكارت إلي ليبينتز)، فريدريك كوبلستون،

تر: سعيد توفيق - محمود سيد أحمد، ٤/ ٢٩٩.

(٢) السابق، ٤/ ٣٠٠.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د/ عبد الوهاب المسيري، ٣/ ٣٧١.

إرادته الحرة أن يخلق الأشياء التي يمدده عقله بفكرتها، ويخضع إرادته لعلّة الخير الغائية إن كل ذلك لا يعدو أن يكون قصة تظهر فيها آثار التشبيه صارخة كما في آلهة الوثنيين، الله علة هذا حق لكن العلة هي السبب الذي يجعلنا نتعقل المعقول، وبهذا المعنى هو علة فاعلية علة الماهيات بقدر ما هو علة الوجودات علة بذاتها، أو أولى مطلقة علة فاعلة بحسب قوانين الطبيعة، أو وهذا سياتي علة حرة أي غير مؤثرة إلا بذاتها علة مباطنة أيضا أي أن فعلها لا ينتقل إلى موجود من خارجه، ومن هنا لا يكون الله مختلفا عما يسميه الفلاسفة الطبيعة.<sup>(١)</sup>

فمن خلال ما سبق يمكن التدليل بكل سهولة على المذهب الواحدي عند (اسبينوزا) بطريقة غير مباشرة من خلال عرض مفهومه للجوهر الذي يتصف بثلاث صفات، وبطريقة مباشرة وواضحة وصريحة من خلال عرض معادلته التي تساوى بين الله والطبيعة، وتجمع بينهما في حقيقة وبوتقة واحدة لا تنفصل عراها، ف "ميتافيزيقا (اسبينوزا) هي أفضل مثل لما يمكن أن ندعوه الواحدية المنطقية وهي: القائلة بأن العالم ككل جوهر واحد لا يسع جزء من أجزائه أن يوجد وحده"<sup>(٢)</sup>

يمكن القول بأن الواحدية والكمونية الفلسفية بلغت ذروتها عند (اسبينوزا)؛ فقد ألغى كل الثنائيات التقليدية، ففلسفته كانت نظام مادي خال من أية رواسب دينية سوى المصطلح، فالإله عنده هو الطبيعة، والعقل هو الجسم، والفكرة هي الموضوع، والذال هو المدلول، والجوهر هو الصفة، والكون كله هو في نهاية الأمر: جوهر واحد لا متناه ذو صفات عديدة

(١) تاريخ الفلسفة (القرن السابع عشر)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ٢٠٧ / ٤.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية ( الكتاب الثالث - الفلسفة الحديثة)، برتراندرسل، تر: د/ محمد فتحي الشنيطي، ص: ١٣٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم طبعة، ١٩٧٧م.

يدرك منها الفكر والامتداد، ولكن الموجودات في علاقتها بالجواهر الواحد تشبه الأمواج في علاقتها بالمحيط أي أنها موجودات مستقلة بشكل ظاهري فحسب إذ لا وجود لها خارج الوجود المادي<sup>(١)</sup>.  
ثالثا: **الواحدية عند (فشته)**<sup>(٢)</sup>:

ينطلق (فشته) من مفهوم الأنا أي المطلق في ذاته، والذي هو عامل بذاته وهو ذو سلطان على كل ما هو حسي، والأنا ينتسب إلى عالم الغيب<sup>(٣)</sup>، وإرادة الأنا أو المطلق في ذاته لا تختلف عن إرادة الكون الأخلاقية التي تحتوي كل الذوات الفردية، والله من تلك الذوات<sup>(٤)</sup> غير أن مفهوم الله ليس محورا أساسا، ولا رئيسا في فلسفة (فشته) - بخلاف سابقه (اسبينوزا) - فلا نجد في فلسفته مجالا للإله، فالقانون الأخلاقي الذي يسير العالم بمقتضاه هو القدسية الوحيدة التي يحق الإيمان بها<sup>(٥)</sup>.  
فاختزل (فشته) مفهوم الدين في تأدية الأنا المطلق للواجب الخلقى، وقدمه حتى على الوحي، فعنده ليس ثمة وحي مزعوم يمكن أن يكون ما

- 
- (١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د/ عبد الوهاب المسيري، ٣/ ٣٧٢.  
(٢) فشته يوهان غوتليب (١٧٦٢ - ١٨١٤م): ألماني تخرج بجامعة برلين وكان يدرس اللاهوت، ولكنه مال إلى الفلسفة بطبعه، وتأثر بثلاثة فلاسفة: (لسنج واسبينوزا وكانط)، مات مصابا بالتييفود من خلال زوجته التي شفيت منه.  
من مؤلفاته: مقدمة لنظرية المعرفة، المباديء الأساسية لنظرية المعرفة، نظرية الأخلاق وفقا لمباديء علم المعرفة، مصير الإنسان، التنبيه علي الحياة السعيدة.  
ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ٢/ ٩٧٢، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ٢/ ١٥٣، الدليل الفلسفي الشامل، ٢/ ٣٧٦، موسوعة إكسفورد، ٣/ ٧٠١.  
(٣) الفلسفة المثالية، هنس زندكولر، تر: أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني - ناجي العونلي، ٢/ ٧٢٣، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - لبنان، ط: ١، ٢٠١٢م.  
(٤) ينظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢/ ٣٤٤، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٣٦م.  
(٥) يراجع: السابق، ٢/ ٣٤٣.

يدعيه لو أنه تتناقض مع القانون الخلفي، وأي وحي مزعوم يجاوز فكرة القانون الخلفي كتعبير عن الإرادة المقدسة ليس وحيًا.<sup>(١)</sup> فماهية الدين عنده تنحصر في أن يؤمن الإنسان بالنظام الخلفي، ويعتبره مصدر واجباته، ويعاون علي نموه،<sup>(٢)</sup> فالنظام الخلفي هو الإلهي عينه<sup>(٣)</sup>.

بينما بدأت فلسفة (اسبينوزا) بالله نزولاً إلي سائر الكائنات نجد الفلسفة عند (فشته) تبدأ من وجود العالم الذي يعد تفسيره بأنه خلق لعقل إلهي هو من وجهة النظر العلمية ببساطة لغو فارغ، والعالم هو كل منظم لذاته يحتوي في ذاته على أساس لكل الظواهر التي تحدث فيه ... وإذا تحدثنا عن الله بوصفه جوهرًا أو كموجود شخصي، أو ممارس بتبصر للعناية الإلهية الكريمة فإن ذلك لن يكون أكثر من لغو فارغ<sup>(٤)</sup>.

(فشته) يرفض فكرة وجود إله مستقل عن الإنسان (التمثل في مفهوم الأنا أو المطلق في ذاته)، وعن العالم الخارجي، ويعتبرها فكرة باطلة، ومتناقضة مع القانون الأخلاقي الذي أخذ به، فليس لله وجود إلا في إدراكنا له، ونحن نحيا حياة الإله بما نبذل من جهود في أداء الواجب، وفي تحقيقنا للخير والحق والجميل، فالدين الصحيح هو تحقيق العقل (الذات).<sup>(٥)</sup> (الذات).<sup>(٥)</sup>

وبما أن الطبيعة عند (فشته) هي مسرح أو ميدان لعمل المطلق في

(١) تاريخ الفلسفة (المجلد السابع - من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ص: ١١١.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٨١.

(٣) الفلسفة المثالية، هنس زندكولر، تر: أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني - ناجي العونلي، ٢/ ٧٢٤.

(٤) تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧/ ١١٤، ١١٥.

(٥) ينظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢/ ٣٤٣.

ذاته (الأنا)؛ لذلك نجده يقول عنها " إن الطبيعة التي يتعين علي أن أعمل فيها ليست كائنا غريبا عني، ونتاجا منقطع الصلة بي لا أستطيع النفاذ إليه، فلئن كان يسعني أن أنفذ إلي الطبيعة فلأنها متكونة بقوانين فكري الخاص، ولأنها يتعين عليها أن تتفق وإياه <sup>(١)</sup> .

حاولت الفلسفة المثالية فهم العلاقة بين المتناهي، واللامتناهي، ومالت إلى النظر إليها في ضوء مماثلة اللزوم المنطقي، ففكرة الإله المشخص الذي هو في آن واحد غاية مطلقة، ووجود مفارق بدت للمثاليين فكرة غير منطقية، وتشبيهية، فمالوا لتحويل فكرة الله إلي المطلق بمعنى الشمول الذي يحيط بكل شيء.

اعترف (فشته) بالله مشرعا على نحوين أولا: فعلى النحو المتجاوز للطبيعة باعتباره الوعي بالذات للقانون الخلقي (موجود في الأذهان)، ثانيا: فبتوسط مبدأ كائن متعال على الطبيعة خارجنا (موجود في الأعيان)، وبمقتضى ذلك يميز (فشته) بين نوعين من الدين: دين طبيعي: يستند إلي المبدأ الأول، دين متجلى: منزل من عند الله يحيل إلى علية إلهية متعالية على الطبيعة موجودة في عالم الحواس، فالتنزيل (التجلي) باعتباره تأثيرا متجاوزا للحس في العالم الحسي: يستنتج فشته قبلها من مبادئ العقل الخالص، وهو يري أن الله يعلن فيه نفسه لنا باعتباره مشرعا خلقيا، ولا يبين (فشته) في الاستنتاج إلي إمكانية مفهوم التجلي، ولكن ليس صحته الموضوعية، فالإنسان عنده مواطن في عالمين فباعتباره جزءا من العالم الحسي يخضع الإنسان إلي قوانين الطبيعة، وباعتباره كائنا من عالم متجاوز للطبيعة، فإن ما يحدده هو قانون الأخلاق، إن الله من حيث هو مسلمة عقلية، وسلطة توحيد لنظامين في آن، أحدهما: هو النظام المستند

(١) تاريخ الفلسفة (القرن التاسع عشر)، إميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ٦/

إلى عليية الطبيعة، والثاني: هو النظام الذي يسود عالم الحرية<sup>(١)</sup>. مفهوم الوجود لا يطابق صفة من صفات الله، فالله ليس وجودا وليس ذاتا بل له خاصية الحدث، ولكننا لا نستطيع من دون التسليم بفكرة الله أن نثير مسألة حقيقة الأخلاق إثارة مناسبة لها، ومن خاصية جوهر الإنسان أنه يحدد حقيقته الباطنة من خلال توقه إلى اللامتناهي، وهو توق لا يمكن أن يرضيه إلا بفضل النظام الخلقى للعالم؛<sup>(٢)</sup> لذلك كان الله هو وحدة وعي مختلف الأفراد الذين يرتقون إلى مرتبة العقل، فيرفض (فشته) كل وجود لله خارج دائرة الوعي مبعدا عنه كل وجود مشابه لوجود الشيء في ذاته، فالله ليس شيئا ولا فرضية يفرضها الواجب بل هو أمر يقضى بتحقيق الواجب، والأخلاق في الكون ضمن سلسلة تجمع الوعي اللامتناهي.<sup>(٣)</sup>

ولما كان نظام العالم الأخلاقي عند (فشته) هو نظام نشط بالفعل جعل له وظيفة أنطولوجية تظهر بوصفه الإرادة الأزلية اللامتناهيية أو الحياة المبدعة، وهذه الإرادة ترتبط عنده في وحدة واحدة مع جميع الموجودات المتناهيية، وهي الوسيط المشترك بين جميع البشر.<sup>(٤)</sup>

يؤكد (فشته) فكرة الوجود المطلق بوصفه النور الذي في إشعاعه يقال إنه يقسم نفسه إلى وجود، وفكر، لكن (فشته) يصر على أن الفكر التصوري لا يستطيع أبدا إدراك الوجود المطلق في ذاته الذي لا يخضع للقسمة إلا في حال ظهوره وفي إشعاع النور.<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) المثالية الألمانية، هنس زندكولر، تر: أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني - ناجي العونلي، ٢ / ٧٢٠، ٧٢١.
- (٢) المثالية الألمانية، ٢ / ٧٢٤.
- (٣) ينظر: موسوعة الفلاسفة العرب والأجانب، ٢ / ١٥٩.
- (٤) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلى نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧ / ١١٧.
- (٥) ينظر: السابق، ٧ / ١٢١.

يذهب (فشته) إلي أن نظرية الكلمة الإلهية عندما تترجم إلي لغة الفلسفة فإنها تتحد مع نظريته الخاصة في الوجود المقدس (أو الآنية الوجود هنا وهناك) وعبارة القديس يوحنا التي يقول فيها إن كل شيء كان بالكلمة ومن خلالها يعني من وجهة النظر النظرية أن العالم وكل ما فيه موجود فقد في دائرة الوعي بوصفها وجودا من المطلق<sup>(١)</sup>. فتحوّلت نظرية (فشته) إلي المحبة، وادعت التوافق مع المسيحية من خلال مقابلتها التعاضدية بين الحياة الحقّة التي ترتكز علي الكائن الحقيقي الذي ترتبط به الإنسانية بعلاقة المحبة، وبين الحياة الظاهرية الأرضية التي هي خليط من الحياة والموت<sup>(٢)</sup>.

ومع تطور فلسفة الوجود يحدث تطور في فهم (فشته) للدين، فيصبح النشاط الأخلاقي عنده هو حب الله، وتحقيق إرادته، ويتدعم ذلك عن طريق الإيمان والثقة بالله إننا لا نوجد إلا في الله ومن خلاله<sup>(٣)</sup> فتجسد الكلمة في العقيدة الأساسية للمسيحية هو التطور التدريجي للأخلاقية، وللعقل في العالم<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: السابق، ٧ / ١٢٤.

(٢) ينظر: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ٢ / ١٦٠.

(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيته)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد

الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧ / ١٢٤.

(٤) تاريخ الفلسفة ( القرن التاسع عشر)، ايميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي،

٦ / ١٦٦.



#### رابعاً: الواحدة عند شلنج<sup>(١)</sup>:

ذهب (شلنج) إلى أن المبدأ الأول هو الهوية المطلقة والوجود الأول للعقل (المطلق) أي السوية التامة بين الذاتي والموضوعي، وكل ما هو موجود يوجد في العقل، ولا شيء خارجه، والطبيعة هي من نتاج العقل، وأول ما يتأمله، والطبيعة هي: سلسلة ضرورية في تاريخ الشعور بالذات،<sup>(٢)</sup> فمعيار الوجود الحقيقي عند (شلنج) لا يتحقق إلا في الوجود الإنساني الذي يمثل اتحاد الطبيعة والروح، المادة والفكر، الذات والموضوع، فالمطلق الحقيقي هو: خارج أو فوق الأنا واللأنا، لا هو بهذا ولا هو بذاك، إنه غير متحيز أي غير متميز، وهو هوية طرفين متناقضين، هو المثال والواقع، هو الماهية اللامتناهية التي تشكل فيها الطبيعة مظهراً من المظاهر،<sup>(٣)</sup> غير أن رؤية (شلنج) للمطلق لم تكن علي وتيرة واحدة؛ فكان المطلق في البداية عنده مثلاً صرفاً، وحاول أن يستخرج الأشياء منه بجدل عقلي، ثم عاد فرآه إرادة تخرج الأشياء منها بالنزوع<sup>(٤)</sup>.

تعد الفكرة الأساسية التي تقوم عليها فلسفة الطبيعة عند (شلنج) هي القول بوحدة الطبيعة والعقل، وهذه الفكرة تقوم علي ثلاث معاني رئيسية:  
١- الغائية الباطنة في الطبيعة أو التنظيم.

(١) شيلنج فريدريك وليام يوسف فون (١٧٧٥ - ١٨٥٤): فيلسوف مثالي ألماني وشاعر رومانسي، كان زميلاً في الدراسة (لهيجل) جمع بينهما حبهما للثورة الفرنسية، وللفلسفة خاصة فلسفة (اسبينوزا وكانط وفشتته).

من مؤلفاته: خواطر لإقامة فلسفة طبيعية، برونو أو في المبدأ الإلهي والطبيعي للأشياء، فلسفة الوحي، في إمكان صورة الفلسفة بوجه عام، في الأنا كمبدأ للفلسفة. ينظر: معجم الفلاسفة، ص: ٣٩٩، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ١/ ٨١٧، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ٢/ ٣٢، الدليل الفلسفي الشامل، ٢/ ١٤٩.

(٢) موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢/ ٢٧.

(٣) يراجع: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ٢/ ٣٦.

(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٨٥.

٢- حياة الطبيعة أو التطور.

٣- إمكان معرفة الطبيعة.

والغائية الباطنية في الطبيعة تستند إلي وحدة الطبيعة والروح والمادة والعقل إذ لو فصلنا بينهما فلا يمكن تصور غاية الطبيعة إلا علي نحوين إما بواسطة الانسجام بين عالمين مستقلين عالم الطبيعة وعالم الروح أو أن ننقل إلي الطبيعة تصورنا للغائية لكن الانسجام بين الطبيعة والروح ليس إلا تعبير آخر عن غائية الطبيعة فهذا الانسجام إذن لا يفسر في شيء بل هو الأمر الذي يحتاج إلي تفسير، ونقلنا تصورنا للغائية إلي الطبيعة يرغمها علي الوقوع تحت سلطان فكرة غريبة عنها؛ ولهذا فإن السبب الوحيد للغائية هو وحدة الطبيعة والروح ومعناها هو مبدأ التطور للأشياء، ووحدة الطبيعة والعالم الشاملة.<sup>(١)</sup> وهذه الوحدة الشاملة عند (شلنج) التي ترد في أصلها إلي المطلق الذي لا يعد سببا للكون من خارج بل هو الكون نفسه، فمنشأ الكون ليس من خارجه بل يكمن فيه ذاته وفي داخله.

يستخدم (شلنج) مصطلح (اسبينوزا) الطبيعة الطابعة ليشير به إلي المطلق المتموضع في الطبيعة المثالية، وفي اللحظة الثانية: يتحول المطلق بوصفه موضوعية إلي المطلق بوصفه ذاتية، أما اللحظة الثالثة فهي: المركب الذي نري فيه أن هذين المطلقين (الموضوعية المطلقة والذاتية المطلقة) هما مرة أخرى مطلق واحد، والمطلق علي هذا النحو فعل أزلي للمعرفة الذاتية، واللحظة الأولى في الحياة الداخلية للمطلق يعبر عنها أو تتجلي في مصطلح الطبيعة المطبوعة أي المخلوقة، أي الطبيعة بوصفها نسقا من الأشياء الجزئية،<sup>(٢)</sup> أي أن المطلق عنده هو السبب، والمبدأ،

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢ / ٢٧.

(٢) تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح -

محمود سيد أحمد، ٧ / ١٤٦.

والمصدر الذي يصدر منه العالم، فإله ليس خالقا للعالم عند (شلنج)، فاستبدل مفهوم الإله الخالق بالمطلق بوصفه السبب الرئيس الذي يرجع إليه العالم، فنجد هنا صورة أخرى للفلسفة الواحدية التي تربط بين وجود الله والعالم، ولا تفصل بينهما لا في الوجود، ولا في الزمان. والطبيعة بوصفها نسقا من الأشياء الجزئية يقال أنها خارج المطلق، اللحظة الثانية في الحياة الداخلية للمطلق تحول الموضوعية إلى ذاتية يعبر عنها خارجيا في عالم التمثل العالم المثالي للمعرفة البشرية الذي بواسطته تتمثل الطبيعة المطبوعة (المخلوقة) في ومن خلال الذهن البشري الذي بواسطته يستغرق الجزئي في داخل الكلي إن صح التعبير علي المستوي التصوري، ومن ثم فإن لدينا وحدتين كما يسميها (شلنج): الطبيعة الموضوعية، والعالم المثالي للتمثل، والوحدة الثالثة التي ترتبط باللحظة الثالثة في الحياة الداخلية للمطلق هي: التداخل المفهومي للواقعي، والمثالي<sup>(١)</sup>.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن رؤية العالم عند (شلنج) ارتكزت علي عدة مصادر الفلسفة السبينوزية التي أمدتها بفلسفة في هوية الفكر والوجود، والذات والموضوع، والذهني والمادي، والفلسفة الأفلاطونية التي أمدتها بالتركيز علي الفكرة من حيث كونها أعلى نمط أنطولوجي في الوجود، والنزعة الحيوية التي أمدتها بنظرة حيوية للكون من حيث أنه كيان عضوي متكامل يربط أجزاءه ما بينها من قوة أو طاقة حيوية<sup>(٢)</sup> ينظر إلي الطبيعة المطبوعة كرمز أو مظهر، أما الطابعة تقع خارج المطلق لكن (شلنج) يتحدث عن المطلق علي اعتبار أنه يمد نفسه في

(١) ينظر: السابق ، ٧ / ١٤٧.

(٢) يراجع: شلنج، د/ عبد الرحمن بدوي، ص: ١٨١ إلى ١٨٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط: الثانية، بدون سنة نشر.

الجزئي، فهو يرغب في إقامة تفرقة بين المطلق الذي لا يتغير في ذاته، وعالم الأشياء الجزئية المتناهية، لكن يؤكد أن المطلق هو الحقيقة الواقعة التي تشمل كل شيء. فالصورة العامة للمطلق كما هي أولية، أو كفكرة تتموضع في الطبيعة، وتعود إلي نفسها كذاتية في عالم التمثل، ثم تعرف نفسها في الفكر الفلسفي ومن خلاله بوصفها: هوية الواقعي والمثالي، هوية الطبيعة والروح،<sup>(١)</sup> فيتصور (شلنج) الله علي أنه حياة تخضع للمعاناة، والنمو، ويتصور عملية العالم علي أنها تقدم بطيء تم بلوغه عن طريق مجهود، ونضال يشارك فيه الله،<sup>(٢)</sup> فالله لا يعد جوهرًا أصليًا غير متغير بل هو جوهر حي متغير لذاته.<sup>(٣)</sup>

الواحدية الروحية التي تحدث عنها (شلنج) هي التي تساوي بين الإله والكون، لا الإله والمادة، أو الأشياء الجزئية المحسوسة. وهنا السؤال الذي يطرح كيف نشأت الكائنات المتناهية من الله؟ من أجل تطبيق هذا اللاهوت أو هذه النيوصوفيا كما يسميها (شلنج) لخصها في ثلاث نظريات:  
الأولى: تقول إن المطلق في جوهره هو إرادة مظلمة وعمياء، ورغبة تميل إلي الوجود في الواقع الله يحمل في ذاته سبب وجوده، فأساس وجوده أو جوهره طبيعته صوفية، وليس من ذاته ويجب أن نفهمه كميل للوجود فقط.

النظرية الثانية: تقول أن الله يلد ذاته علي مراحل، وأن تطوره ليس صيرورة في الزمن؛ لأنه أبدي بيد أن هذا التطور واقعي، ويجب أن نميز فيه مرحلتين علي الأقل، هناك أولاً إذا جاز التعبير ولادة الله الذي يأتي إلي

(١) تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧ / ١٤٧.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، تر: د/ محمود سيد أحمد، ص: ٣٠٥.

(٣) المثالية الألمانية، هنس زندكولر، تر: أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني - ناجي العونلي، ٢ / ٧٥٨.

الوجود بواسطة نور من وعى يبدأ الله بالوجود، فيتضح لذاته من خلال تفكير أولي هو الكلمة، في المرحلة الثانية يتطور الله نحو الشخصية إنه يتشخصن، ويظهر في الكون؛ لأن تتابع الأشياء ابتداء من الله ليس سوي تجلي الله لذاته [ فإله يخلق ذاته ويتحقق في الطبيعة والإنسان ] فالله هو الماهية العامة إنه كائن الكائنات بيد أن هذا لا يمنعه من أن يكون جزءاً، فإن الكائنات تظهر؛ لأن الله نزل وعبر عن ذاته في تعددية كائنات متناهية [ فالله عند (شلمنج) لا يوصف بالكمال من حيث المبدأ بل يوصف بالنقصان ويخضع للتغيير والتطور فيتصف بالكمال على مراحل وبعد فترة ] وبما أن الله مكون من مبدئين الجوهر والوجود، فإن الكون يعبر عن هذه الثنائية، ولهذا السبب نراه يتألف من مادة وروح، الأناية والشر يتناسبان مع المادة، والخير والحب يتناسب مع الروح، أخيراً وبما أن الروحانية في الله تتغلب على المادية، فإن الكون المادي يميل بدوره إلى رغبة التحول إلى إله يكفي الإنسان إذا ما أراد أن يؤله ذاته أن يتخلي عن أنانيته الطبيعية، ويرتفع إلى المستوي الفائق للطبيعة بفضل عقله، فتتحد إرادته بالإرادة الكونية<sup>(١)</sup>. فمعني ما سبق أنه لا يكون هناك تمايز بين الله والعالم بل يتحدان في هوية واحدة وإرادة واحدة.

ويجب التنبيه إلى أن الإله الشخصي الذي آمن به (شلمنج) هو إرادة أولاً وقبل كل شيء إرادة محض سابقة على كل تعقل، وعلى كل إرادة شعورية، إرادة نازعة إلى الوجود الشخصي والشعور، ولا تنمو الشخصية إلا بمصارعة قوي معارضة، فيجب التسليم بتعارض أصيل في الذات الإلهية، وهو تعارض ينتهي إلى الانسجام بتطور الحياة الإلهية دون أن يعني هذا التطور تعاقباً في الزمان إذ ليس في الله بداية ونهاية بل هناك حركة دائمة سرمدية، وهذا النزوع الإلهي إلى الوجود أو هذه الأناية الإلهية

(١) موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، ٢ / ٣٦، ٣٧.

علة الأشياء جميعا، وما هذه الفكرة العامة إلا صورة مأخوذة من الإنسان، فإنه في البداية جملة من القوي، والنزعات المتعارضة (١).

كان عام ١٨٠١ فاصلا بين عهدين في فلسفة الطبيعة عند (شلنج)، ويختلف كلا العهدين من حيث الروح العامة في مذهب فلسفة الطبيعة، فالعهد الأول يغلب فيه علي فلسفة الطبيعة: النزعة الطبيعية، والعهد الثاني: تغلب عليه النزعة الدينية، لكن كليهما معا يتسم بنزعة وحدة الوجود، في العهد الأول وحد بين الطبيعة وبين الحياة الإلهية، وفي الثاني ساد تجلي عالم الصور الإلهي، في الأول كان الله بمثابة الطبيعة الطابعة (الفاطرة)، وفي الثاني الله هو المطلق، وهو إرادة تجلي ذاته بذاته، في العهد الأول كانت الطبيعة بمثابة حياة الله وتطوره، وفي العهد الثاني عدل عن هذا التصور؛ لأنه يري أن الله كائن وليس صائرا، ولهذا نظر إلي الطبيعة علي أنها تجلي الله، وصيرورة معرفة الله، وعيان الله الذي تتحد فيه كل العلوم، وتجتمع فيه الفلسفة مع الدين والفن، وتكتمل فيه حياة العالم الروحي. (٢)

قدم (شلنج) فكرة السقوط الكوني فأصل الكون إنما يوجد في سقوط أو تحطيم من الله، (فلا تكون هناك عملية خلق ولا يستقيم معني الأحداث من العدم) وهو ما يمكن أن يوصف أيضا بأنه قفزة من المطلق إلي الواقعي، (أي الانتقال من الله إلي العالم) فليس هناك انتقال متصل فأصل العالم الحسي لا يمكن التفكير فيه إلا علي أنه تحطيم كامل من الإطلاقية بواسطة قفزة، ولا يعنى (شلنج) أن جزءا من المطلق قد تحطم أو انقسم، بل إن السقوط يعتمد علي الانبثاق لصورة معتمة من الصور تشبه الظل الذي يصاحب البدن، إن جميع الأشياء لها وجود مثالي أزلي في الفكرة أو الأفكار الإلهية، نلاحظ هنا التأثير بنظرية المثل عند أفلاطون ٤٢٧-٤٢٨

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٨٥.

(٢) موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢/ ٢٨.

٣٤٨ ق.م) وماهية الشيء المتناهية يمكن بهذا الشكل أن يقال أنها لا متناهية أكثر منها متناهية، فالشيء المتناهي: صورة للماهية، المثالية التي هي نفسها انعكاس للمطلق، ووجوده بوصفه شيئاً متناهماً متميزاً هو اغتراب من مركزه الحقيقي، سلب لالتناهي (فالوجود الحقيقي عنده هو وجود الصورة أو المثال وليس وجود الأشياء في الواقع الخارجي الفعلي)، وليست الأشياء المتناهية الحقيقية ببساطة عدما بل هي خليط من الوجود والعدم، والجزئية والتناهي تمثلان العنصر السلبي، وهي ليست حادثة في الزمان بل هي كالأزلي خارج كل زمان.<sup>(١)</sup>

يربط (شلنج) السقوط بنوع من الحياة المزدوجة تقودها الفكرة الأزلية منظورا إليها علي أنها مطلق آخر، وحياتها الحقيقية هي في المطلق ذاته الخلق بهذا الشكل سقوط بمعنى أنه حركة طاردة مركزية، وتصبح الهوية المطلقة متميزة وتتمزق علي المستوي الظاهري رغم أنها لا تكون كذلك في ذاتها لكن هناك أيضا حركة متدافعة نحو المركز أي العودة إلي الله، وهذا لا يعني أن الأشياء الجزئية المتناهية المادية بما هي كذلك تعود إلي الفكرة الإلهية،<sup>(٢)</sup> فمن خلال ما سبق يتضح أن مفهوم المطلق هو مفهوم أساس ورئيس في فلسفة (شلنج) كما هو الحال مع سابقه في الذكر (فشته)، وسيتبين لاحقا أيضا مع لاحقه (هيجل).

#### خامسا: الواحدية عند (هيجل):

تتألف الفلسفة عند (هيجل) من ثلاث معان رئيسة هي: الفكرة، والطبيعة، والروح، وترجع هذه المعاني الثلاثة إلي معني واحد هو: الفكرة

(١) تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح -

محمود سيد أحمد، ٧ / ١٧٠.

(٢) السابق، ٧ / ١٧١.

أو المطلق<sup>(١)</sup> الذي كما هو الحال عند (فشته) و(شلنج) نجده يشغل حيزاً كبيراً من اهتمام هيغل ويحثه ودراسته، وبينما كان المطلق عند (شلنج) في ذاته يتجاوز الفكر التصوري الذي يقترب من الهوية المطلقة من خلال السلب مع طرح صفات المتناهي واختلافاته، نجد المطلق عند (هيغل) ليس هوية لا يمكن أن يقال عنها شيء آخر، وإنما هو المسار الشامل للتعبير عن نفسه، ولتجلي ذاته في المتناهي ومن خلاله،<sup>(٢)</sup> فالمتناهي يعد دليلاً ناطقاً، وعلامة تدل علي وجود المطلق الذي يرجع إليه المتناهي في الوجود، فالمطلق هو الشمول والواقع ككل أي الكون وهو الحياة اللامتناهية مسار التطور الذاتي، فالمطلق هو الروح الذات الواعية بنفسها أو اللامتناهية التي تتبر لذاتها،<sup>(٣)</sup> فوجود العالم في أفرادها الجزئية المتنوعة والمتغيرة يرجع إلي المطلق (هيغل).

فهو بمثابة روح حية منتجة تنبثق منها كل الأشياء النهائية الجزئية<sup>(٤)</sup> وهو "الوجود الواقعي بما فيه من روح لا متناه أو مثال أو عقل كلي أو مبدأ. خالق منظم، والطبيعة والفكر حالاً له، يظهر الفكر في وقت من أوقات تطور الطبيعة لا أنهما وجهان له متوازيان".<sup>(٥)</sup> فالمطلق هو: الفكر الذي يفكر في ذاته ليس باعتباره حقيقة واقعة متعالية مفارقة بل باعتباره نهاية

(١) ينظر: فلسفة هيغل، عبد الفتاح الديدي، ص: ١٦، ١٧، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م، وينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٢٢٥/٧.

(٢) يراجع: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) يراجع: السابق، ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) ينظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٦١، ٣٦٢.

(٥) تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٨٨.



محايدة أو مباطنة داخل المسار، وهو غاية الكون ونهايته.<sup>(١)</sup>

فالعلاقة بين المطلق والكون ليست علاقة بين طرفين لا يوجد بينهما تداخل أو اتصال أو علاقة يتصف فيها أحد الطرفين بالعلو في الرتبة والمنزلة والتصرف في شؤون الطرف الذي يعد أدنى وأسفل، بل علاقة محايدة يشتمل فيها أحدهما علي الآخر، ويتصفان بالوجود معاً، فالفكر هو فاعلية الكلي وتأثيره السلبي تام التجريد المتجاوز والمتعالي علي كل حد وجزئية لا مقام له إلا في الفكر.<sup>(٢)</sup>

يميز (هيجل) بين الفكرة وبين التصور، فالفكرة هي التحقق الكامل للتصور، وهي الوحدة المطلقة للتصور وللموضوع، وهي الحق في ذاته ولذاته، وهي المعرفة الكلية المطلقة التي يصل إليها فكر الفيلسوف، والفكرة هي التصور الموافق، وهي الحق الموضوعي، وبالجملة فإن الفكرة هي أول الحياة، وهي التصور حينما يمتلئ بذاته وهي جوهر الأشياء الخارجية.<sup>(٣)</sup> فالمثالية الهيجلية تقول أن الفكرة هي المطلق وهي محايدة، والمطلق هو الذات الكلية التي تنظم كل شيء، وكل الأشياء ليست إلا تطوراً ونمواً دياليكتيكياً عن الفكرة الأصلية، فالتصور الهيجلي هو: الكلي الذي ينتظم كل تعييناته، ويشملها في تطور دياليكتيكي، الفكرة هي الوحدة المطلقة للتصور وللموضوعية.<sup>(٤)</sup>

والمطلق يعرف ذاته بوصفه: هوية في الاختلاف، بوصفه: وحدة تشمل أطواراً يمكن تمييزها داخل ذاته،<sup>(٥)</sup> أي أن المطلق يعبر عن نفسه في

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) يراجع: موسوعة إكسفورد، ٤/ ٩٩٦.

(٣) الدليل الفلسفي الشامل، ٣/ ٦٢٨.

(٤) ينظر: موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢/ ٥٧٩.

(٥) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧/ ٢٢٤.

في أطوار متعددة أولها: لحظة الكلية حينما يتحد بالله اللامتاهي واللامحدود، ثم هناك لحظة الجزئية: حينما يكون الإله محدودا ومتاهيا وأخيرا في لحظة الفردية: وفيها يكون الإله ذاتا وروحا وتتم تلك اللحظة من خلال الدين المسيحي، والمطلق عند (هيجل) عبارة عن: نسق من المقولات أو الأفكار، مخالفا بذلك (اسينوزا) الذي يقول بأن المطلق هو فكرة الجوهر أو مقولة الجوهر ذاته، فبينما يكون المطلق عند (هيجل) = الفكر نجده عند (اسينوزا) هو الجوهر، وهو مختلف تمام الاختلاف عن الفكر الذي لا يكون إلا صفة واحدة من صفات الجوهر.<sup>(١)</sup>

تشكل المقولات الهيجلية وحدة تعين ذاتها، وتفسر نفسها وحدة قادرة علي تشكيل المبدأ الأول المطلق للعالم،<sup>(٢)</sup> ولأجل فهم الوجود في مبدئه وتسلسل مظاهره؛ يجب اتباع منهج منطقي يبين هذا التسلسل ابتداء من أصل واحد هو القضية ينقلب إلي نقيضه، ثم يأتلف مع هذا النقيض، ويتكرر هذا الطور الثلاثي ما شاءت مظاهر الوجود،<sup>(٣)</sup> فنجد أول مثلث للمقولات في منطق هيجل هو: الوجود، والعدم، والصورورة،<sup>(٤)</sup> ونلاحظ أن النسق عند (هيجل) نسق تضميني، فكل طور من أطوار الحجة يتضمن بقية الحجة كلها.<sup>(٥)</sup>

فالوجود عنده يحتوي في داخله العدم، فالمشترك بين جميع الأشياء

(١) ينظر: فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ١١٥، مكتبة مدبولي، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م.

(٢) السابق، ص: ١٢٤.

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٨٨.

(٤) فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ١٣٢.

(٥) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، تر: د/ محمود سيد أحمد، ص: ٣١١.

المحسوسة في الكون هو الوجود الخالي من الخصائص (المجرد وليس الوجود الفعلي) أي العدم، فالوجود والعدم شيء واحد<sup>(١)</sup> فيتحد كلا المفهومين معاً، ويمكن أن ينتقل أحدهما إلى الآخر،<sup>(٢)</sup> وفكرة الصيرورة بينهما أو الانتقال من واحد إلى آخر هي: الصيرورة، فالوجود هو الجنس والصيرورة هي لون خاص من ألوان الوجود، فهي نوع من أنواعه، فهو وجود يتضمن في داخله سلبه وهو ما يسمى باللاوجود، وبالجمع بين فكرة الوجود واللاوجود تظهر فكرة الصيرورة فاللاوجود أو العدم هو المقولة الثانية (الفصل).<sup>(٣)</sup>

هذا وتعتبر مسألة الصراع بين الأضداد، ثم اتحادهما ضرورة ملحة عند (هيجل)؛ لإدراك الحقيقة المطلقة، فالمطلق هو الانسجام بين الأضداد،<sup>(٤)</sup> وفي منطق (هيجل) ينتج من القضية نقيضها، ثم يتم الجمع بينهما في مركب آخر، وقضية أخرى نستخرج منها نقيض، ويتم الجمع بين النقيض، وهكذا دواليك حتي نصل إلي المقولة التي لا يظهر منها النقيض، وتكون هي المقولة الأخيرة في المنطق، فننتقل من العلة الأولى إلي العالم نفسه دائرة الطبيعة والروح.<sup>(٥)</sup>

ينظر (هيجل) إلي الروح أو العقل علي أنه الحقيقة النهائية التي هي أساس الحقائق جميعاً الذي لا يبلغ مرتبة إدراك نفسه إدراكاً كاملاً إلا إذا اجتاز عدة مراحل سابقة، واستوعبها في نفسه، إن قوام الحقيقة هو الفكر

(١) فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر: د/

إمام عبد الفتاح إمام ، ص: ١٣٣.

(٢) السابق، ص: ١٣٤.

(٣) السابق، ص: ١٣٤، ١٣٥.

(٤) ينظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ص: ٣٦٧.

(٥) ينظر: فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر:

تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام ، ص: ١٣٦.

وحده، ولا بد من تفسير كل شيء تفسيراً عقلياً، وليس هناك مقياس للحقيقة تختبر به سوي الفكر، فالحقيقة والفكر عند (هيجل) عبارتين مختلفتين مدلول واحد؛<sup>(١)</sup> لذلك ورد في مقدمته التي صدر بها فلسفته في الحقوق هذه العبارة: كل ما هو عقلي حقيقي وما هو حقيقي عقلي، وهذه تعد مفتاح فلسفته كلها، فالحقيقة كلها تعبر عن العقل، والكون كله يحقق وجود الفكر بل العالم هو الروح المفكرة قد تطورت.<sup>(٢)</sup>

العلة الأولى، والمبدأ الأول للعالم عند (هيجل) ليس سابقاً عليه أسبقية زمانية كما يسبق السبب الأثر الذي ينتجه، ولكنه يسبق العالم أسبقية منطقية كما تسبق المقدمة نتيجتها،<sup>(٣)</sup> المتناهي متناهي فقط في العلاقة مع وجود الوجود، واللامتناهي غير متناه فقط في علاقته مع المتناهي، والواحد منها غير منفصل عن الآخر، وهما غيران وإن كان كل منهما يتضمن الآخر في ذاته مع غيره،<sup>(٤)</sup> العلة الأولى للعالم ليست شيئاً له وجود فعلي مستقل أو قائم بذاته، فهي تجريد، فالعلة لا تفصل عن العالم إلا في الفكر فحسب وليس في الوجود،<sup>(٥)</sup> العلة الأولى للأشياء عند هيجل نسق من الكليات غير الحسية الخالصة<sup>(٦)</sup>

الكون عند (هيجل) عملية نمو وتقدم هو عملية يتجلي بها الله ويظهر في كل حركة نرى ذلك المطلق كامناً لا يزول لا كعنصر مستقل وحده بل

(١) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) السابق، ٢ / ٣٦٣.

(٣) ينظر: فلسفة هيجل، المجلد الأول المنطق وفلسفة الطبيعة، ولتر سيتس، تر:

د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ٦٤، دار التنوير - لبنان، ط: ٣، ٢٠٠٧م.

(٤) موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢ / ٥٨٥.

(٥) ينظر: فلسفة هيجل، المجلد الأول المنطق وفلسفة الطبيعة، ولتر سيتس، تر:

د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ٦٥.

(٦) ينظر: السابق، ص: ٧١.

كروح سارية في كل شيء؛ لتكشف عن نفسها، وليس تقدم الفكر إلا ظهورا بالفعل لما كان موجودا بالقوة، فانه يكشف عن نفسه في الفكرة المنطقية، ويتجلى في الطبيعة والعقل، ولكن إذا كان الفكر يجتاز في تقدمه تلك المراحل الثلاث فليس يدرك نفسه بدرجات متساوية في المراحل المختلفة، ولا يمكن للإنسان بغير النظرة الفلسفية أن يري الله متجليا أولا في المرحلة السابقة للوجود أي مرحلة الكائن الخالص، وثانيا في العالم الطبيعي بأن تحولت قواه إلي مادة ليظهر هو في صور الحياة المادية، وثالثا وأخيرا في العالم الروحي ممثلا في روح الفرد وفي نظام المجتمع، وفيما يبدعه الفن، والدين، والفلسفة من آيات،<sup>(١)</sup> والفكرة والطبيعة معا يكونان العالم الروحي.<sup>(٢)</sup>

الإله عند النظر إليه هو أولا اسم عام ومجرد ليس له بعد مضمون حقيقي، وفلسفة الدين هي أولا تحرير مفهوم الإله ومعرفته ما هو ويفضل ذلك نعلم الإله ما هو أولا على نحو معرفي، فالإله هو ذلك التصور المشهور جيدا، هو الحق المطلق بالأساس الذي يصدر عنه كل شيء، وإليه يرد وأنه هو الذي يتبعه كل شيء، وأن كل ما عداه ليس له القيام الذاتي الحقيقي، والمطلق<sup>(٣)</sup> لا ينسب إلي الأشياء وجود علي الحقيقة بل هو مجرد وجود مستعار وموضوع وليس له قيام بالذات حقيقي،<sup>(٤)</sup> فالوجود الحقيقي يوصف به الله فقط عند (هيجل).

الواحد عند (هيجل) هو ما هو موجود لذاته على نحو خالص، وهو وحدة يرتبط بذاته فقط، ويستبعد أي علاقة بالآخر، فهناك شعاع نور ينتقل من الوجود إلي آخر بطريقة تجعل الآخر متمصا داخل وجود الواحد، فهو

(١) ينظر: قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) السابق، ٢ / ٣٧٠.

(٣) ينظر: جدلية الدين والتنوير (من دروس فلسفة الدين لهيجل)، تر: أبي يعرب

المرزوقي، ص: ٩٣، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة - كلمة، ط: ١، ٢٠١٤م.

(٤) موسوعة إكسفورد، ٤ / ٩٩٤.

ليس وحدة فارغة، فمن الواحد يخرج الكثير،<sup>(١)</sup> الله محايت لروح الإنسان، التصور بالإله المتعالي تصور يرفضه (هيجل) ويدين به للخيال،<sup>(٢)</sup> إن وفاق الإنسان مع الله وفاقه الموجود في الشعائر يتمثل في كونه لا يتحقق في الحقيقة إلا علي أساس عمله في الإنسان لكنه يفترض عمل الله، فالإنسان يعلم ذاته في الله، والله يعرف ذاته في الإنسان.<sup>(٣)</sup>

الكثير هو آحاد كثيرة؛ لأن العلاقة الذاتية لواحد هي علاقة سلبية بسبب أن الواحد يملك آخر في داخله، وهو ما يطلق عليه هيجل الطرد والجذب، فاستبعاد الواحد لنفسه هو الطرد، وكل واحد يستبقى نفسه كواحد عندما يقطع نفسه عن الآحاد الأخرى، ورابطة الهوية هذه تسمى الجذب.<sup>(٤)</sup> الإله بمقتضى كونه كلياً في علاقة بما تتطوي عليه ذاته من تطور يبقى في وحدة مطلقة مع ذاته، وعندما نقول إن الإله هو القابض، فإن ذلك يعبر عن علاقة بسط تنتظره لكن القابض الذي نسميه كلية هو في علاقته هذه بالإله وبالمضمون نفسه لا ينبغي تصوره باعتباره كلية مجردة يكون الجزئي خارجها أو ما يمكن للجزئي أن يكون قائماً قبالتها.<sup>(٥)</sup>

الطبيعة لا تعد وجوداً آخر إلي جانب العقل عند (هيجل)، ولكنها جزء من حياة العقل نفسه،<sup>(٦)</sup> العقل البشري لا يخلق الأشياء في ذاتها، وإنما

(١) ينظر: فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر:

د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) المثالية الألمانية، هنس زندكولر، تر: أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني -

ناجي العونلي، ٢ / ٧٩٠.

(٣) المثالية الألمانية ٢ / ٧٩٦.

(٤) ينظر: فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر:

د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ٢١١.

(٥) ينظر: جدلية الدين والتتوير، هيجل، تر: د/ أبي يعرب المرزوقي، ص: ٩٤.

(٦) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٥٩.

وإنما هو يحدد الطابع الأساس لعالم الظواهر أي عالم الظاهر، يتحدث هيجل عن المطلق في ذاته علي أنه الله في نفسه مفهوم الوجود هو المفهوم اللامتعين الذي يسبق منطقيا أي مفهوم آخر، فالله هو الوجود وهو الفكر الذي يفكر في ذاته،<sup>(١)</sup> العقل المطلق يبدأ كفكرة مجردة غاية التجريد، ثم تتقدم الفكرة، فتجسد نفسها في الطبيعة؛ لكي تبرز وتتجلي، ثم تعود إلي نفسها ثانيا في الروح.<sup>(٢)</sup>

يقول (هيجل) المتناهي ليس شيئا إنه ليس الحق بل مجرد عبور وتجاوز لذاته والروح إبطال للمتناهي الذي هو مجرد رؤية ناقصة للامتناهي، ومعرفة الروح بذاتها في الواقع أمر غير صحيح ومتناقض.... والعقل ليس نتيجة ولا حدا بذاته في النهاية، بل هو الحقيقة الأصلية التي لا تتحدد ولا تتأكد إلا بالقضاء علي الحدود.<sup>(٣)</sup>

ذهب (هيجل) إلي أن الماهية هي الموجود منشورا بحيث يكون له وجهات عدة يعكس بعضها بعضا، والماهية إذا اعتبرت مبدأ فاعلا صارت جوهرًا، والجوهر يقابله العرض، ويصير العرض جوهرًا بدوره؛ بمعنى أن الجوهر مفتقرا إليه كي يظهر، والجوهر هو خصائصه فحسب، وبذا نستبعد فكرة إله مفارق للعالم، وفكرة نفس مستقبلية عن الظواهر المكونة للأنا، وفكرة مادة مستقلة عن الكم وسائر الأعراض علي أن الجوهر إذا كان مجموع أعراض، فهو ليس مجرد مجموع آلي، ولكنه مجموع حي مرتبط بأعراضه ارتباطا جوهريا أي أنه علتها، والعلة والمعلول متلازمان وهما يؤلفان شيئا واحدا، المعلول هو العلة المحققة كما أن الأعراض هي الجوهر منشورا،

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح

- محمود سيد أحمد، ٧ / ٢٤٥.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٧١.

(٣) موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، ٢ / ٥٨٩، ٥٩٠.

وكل معلول فهو بدوره علة، وكل علة فهي معلول لعلة سابقة غير أن سلسلة العلل والمعلولات ليست غير متناهية في خط مستقيم ولكنها متناهية دائرية.<sup>(١)</sup>

حل (هيجل) مشكلة الأضداد والمتناقضات، وكل تضاد بين المتناهي واللامتناهي فلو أننا وضعنا أنفسنا في مركز المشاهدين لظهرت لنا حركة الحياة كثرة عضوية لا متناهية من الأفراد المتناهية، أعني علي أنها الطبيعة والواقع أن الطبيعة يمكن أن توصف وصفا جيدا علي أنها الحياة وقد وضعت للتأمل والفهم لكن الأشياء الفردية التي تقول أن الطبيعة هي التي تنظمها عابرة وفانية.<sup>(٢)</sup>

يعد التوحيد بين المعرفة والوجود هو المبدأ الأساس في كل ألوان المثالية، وإذا كان الذات والموضوع متحدان، فإنهما مع ذلك متمايزان الموضوع يواجه الذات في معني من المعاني هو اللا أنا أو اللا ذات، والقول بأن المعرفة والوجود متحدان ومتمايزان هو مثل علي المبدأ الهيجلي المشهور في التوحيد بين الأضداد.<sup>(٣)</sup>

يخضع مفهوم الدين للتطور عند (هيجل) حتي يصل إلي الدين الذي يعده مطلقا أو الدين الحق الذي فيه ينكشف الحق دين المسيح، الذي يخرج فيه الجوهر الكلي من تجريده، فيحقق ذاته في وعي فردي لذاته، ويدخل إلي مسار الزمن ابن أبعديته ويظهر فيه الشر منتقيا في ذاته.<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، د/ يوسف كرم، ص: ٢٩٠.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة (من فشته إلي نيتشه)، فريدريك كوبلستون، تر: إمام عبد الفتاح - محمود سيد أحمد، ٧ / ٢١٦.

(٣) ينظر: فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، ص: ١١٢، ١١٣.

(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة ( القرن التاسع عشر)، ايميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ٦ / ٢٤٧.



وتتحول المدينة الأرضية في النهاية عند (هيجل) لتصبح مدينة الله، فلئن عرف العصر القديم وعصر النهضة حولية ذات نزوع طبيعي، فالحولية عند هيجل هي حولية ثقافية ترتبط في الوقت نفسه بالتصوف الألماني الذي كان يري في الإنسانية جزءا من الحياة الإلهية بالذات،<sup>(١)</sup> جوهر الدين عنده هو تمجيد الروح المطلق تمجيدا باطنيا، وبعبارة أخرى رغبة في الإنسان لاتحاد ذاته بالله، مر الدين في سيره التاريخي بمراحل عدة<sup>(٢)</sup> حتى وصلنا إلي المسيحية الديانة التي هبط بها الوحي، وتناقض عبادة الطبيعة، وعبادة الإنسانية كليهما، وهي اتحاد الواحد والكثير، وبلغت المسيحية أسمى فكرة عن الله؛ لأنها تتصور الله قد خرج من نفسه، ثم تجسد في الإنسان، ثم عاد إلي نفسه مرة أخرى ففي المسيحية الملائمة بين النهائي واللانهائي بين الإنسان وخالقه وتم التوفيق بين الضدين في شخصية المسيح لأنه إنسان إلهي.<sup>(٣)</sup>

#### نقد وتعقيب:

كان التطور الهائل الذي حدث في المجتمع الغربي في أواخر العصر الوسيط وعصر النهضة سببا داعيا أدى إلي رفض الفلاسفة للأمور الميتافيزيقية، فأصبحوا لا يقبلون إلا ما يقع تحت دائرة الملاحظة والتجربة، ففكرة الإله المتعالي الذي يجلس علي عرشه في السماء - علي حد تعبير برونو أصبحت غير مقبولة بالنسبة لهم ولا مرضية لطموحاتهم، فكان التفكير في الطبيعة دون إرجاعها إلي سبب ميتافيزيقي (غيبّي) هو ما يميز الفلسفة في تلك المرحلة سواء قيل بأن أصلها هو المادة كما عند (برونو) و(اسبينوزا)، أو قيل بأنها صورة أو مثال كما في الواحدية المثالية عند

(١) ينظر: السابق، ٦/ ٢٤٩.

(٢) قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، ٢/ ٣٨٥

(٣) السابق، ٢/ ٣٨٦.

أقطاب الفلسفة الألمانية المثالية عند كل من (فشته) و(شلتج) و(هيجل).  
تبقى الفلسفة الواحدية قول لا سبيل لإثباته عن طريق المنطق  
والبرهان، وهي تروج لما هو غير منطقي، ولا مقبول عقليا، فكيف يكون  
حضور الله في الأشياء أكثر منها في أنفسها كما يدعي برونو؟ ولكن ما دام  
الأمر بتعلق بمسألة العقيدة الدينية فيجب أن يكون الإنسان علي بينة فيما  
يقوله، وأن يحصل فيه درجة اليقين، فإذا كان المرء مطالبا بالتثبت من قوله  
في الأمور العادية، فكيف يكون الحال في الأمر العقدي؟ الذي عليه مدار  
صلاح حياة المرء في معاشه وأخراه.

ومن نقد الواحدية عند (برونو) ننتقل لنقدها عند (اسبينوزا) الذي  
استخدم مصطلح الطبيعة الطابعة والطبيعة والمطبوعة؛ لكي يستدل به علي  
إثبات الواحدية التي تتنافي مع مفهوم الألوهية، لكن الباحثة تري أنه لم  
يستطيع أن يفلت كلية من المفهوم، بل غاية ما فعله أنه وضع إله خفي  
عبر عنه بمصطلح الطبيعة الطابعة، فلسفته كانت فلسفة رمزية غامضة  
رغم ادعائه أنه استخدم المنهج الرياضي في فلسفته حتي يصل إلي اليقين،  
فببقي كلامه بمثابة ادعاء ليس عليه دليل ولا برهان، هذا إلي جانب أنه  
لا يؤخذ في مجال العقيدة بالرأي الهوي والميل الشخصي فما قاله (اسبينوزا)  
يعبر عن وجهة نظره الشخصية التي لا تعد ملزمة لغيره.

بينما استبدل (اسبينوزا) مفهوم الإله كما سبق فعلت كذلك الفلسفة  
المثالية الألمانية عند (فشته - شلتج - هيجل)، فأحلت المطلق محل الإله،  
ووضعت له صفات إلهية، فنجد (فشته) قد أفرغ مفهوم الإله من معناه،  
واختزل مفهومه في مجرد تأدية الواجب الخلفي فقط، كذلك نجد (شلتج) يقدم  
مفهوما غريبا للإله، وكأن وجود الله وطبيعته مسألة تخضع للرأي والهوي،  
فنجده يقول عن الله بأنه يلد ذاته علي مراحل، وأنه يتشخصن، ويظهر في  
الطبيعة، ونجد الطبيعة عند (هيجل) روح حيوية تتبثق من المطلق، وهي  
جزء لا يتجزأ منه، فالمطلق الوجود وحدة واحدة، وأخضع هيجل الدين

للعقل، وحوله إلي فكر وجعل تطوره مرتبط بالعقل، وجعل الدين ظاهرة إنسانية أو طبيعية قابلة للتطور والتغير مع تقدم الزمن. يتضح من خلال دراسة فلسفة (هيجل) أنها فلسفة قوية من حيث ترابط الأفكار والقضايا المراد إثباتها، فتلك مهنة الرجل الأساسية، فقد كان منطقيًا بارعا تمتاز فلسفته أنها ذات بناء منطقي محكم يُنتقل فيها من المقدمات للنتائج، لكنها تبقى مجرد أقوال لا يمكن التثبت من صحتها، ولا تلزم غيرها التسليم بها.

### الخاتمة

- الحمد لله وحده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده سيدنا محمد وبعد، فمن خلال دراسة هذا البحث توصلت إلي عدة نتائج هي:
- ١- كان مذهب الواحدية بمثابة تعدى واضح وصريح وسهم موجه لقضية الألوهية وهي مسألة فلسفية لا يمكن التوفيق بينها وبين الدين بأي حال من الأحوال.
  - ٢- تنقسم الواحدية إلي ثلاثة أقسام وحادية مادية: ترد الوجود إلي المادة وحدها فقط، وحادية روحية أو مثالية: ترد الوجود إلي الروح وحدها أو المثال، وحادية محايدة: تحاول التوفيق بين المادة والعقل.
  - ٣- الواحدية الغالبة علي الفلسفة في العصر اليوناني القديم هي: الواحدية المادية التي يعد كلا: (إكزینوفان - وبارمنيدس - وزينون) (أعلام الفلسفة المدرسية الإيلية)، وديمقريطس معبرين جميعا عنها.
  - ٤- الواحدية عند أفلوطين كانت وحادية روحية فبينما كانت هناك مباديء ثلاثة للوجود إلا أنها في جوهرها تمثل وحدة واحدة تتكون من: الواحد أو الخير المطلق الذي ليس فيه أي معني للتعدد، ثم فاض عنه: العقل الكلي وهو صورة الله ولكن ليس الله نفسه، وهو يتأمل في الله وفي ذاته، ففاض وصدر عنه النفس الكلية التي تتأمل في ذاتها وفي مبدئها لتصدر عنها الطبيعة التي هي مجموع النفوس الجزئية التي تسكن العالم، وهي لا تتطلع إلي الله من الخارج بل تكون متحدة معه وتصبح هي الله.
  - ٥- الواحدية في العصر الوسيط كانت فلسفة أفلوطين هي المعين الأساس والرئيس الذي استقت منه أفكارها ومبادئها، فهي وحادية لا تخرج عن إطار النزعة الأفلاطونية المحدثة، وتدور في فلكها.
  - ٦- لا يعد برونو فيلسوفا وحاديا علي الدوام بل كانت الواحدية صورة لمذهبه الفلسفي في فترة من فترات حياته، فذهب إلي أن وجود الله

أكثر حضورا في الأشياء منها في أنفسها.

٧- تعد فلسفة اسبينوزا أصدق فلسفة في التعبير عن فكرة الواحدية المادية في العصر الحديث فكانت معادلته المعبرة عن تلك الفكرة هي الله = الطبيعة، ويمكن التعبير عن التلازم بينهما عند اسبينوزا من خلال تصور عملة معدنية يمثل أحد وجهيها مفهوم الطبيعة الطابعة وهو الله بقدر ما يعد علة حرة، والوجه الآخر للعملة الذي لا ينفصل في الوجود وهو الطبيعة المطبوعة أي الأوجه الجزئية أو المكونات الجزئية الموجودة في العالم من حيث هي تعبير جزئي عن الصفات الشاملة للجوهر الذي هو الله.

٨- حاولت الفلسفة الألمانية المثالية من خلال أقطابها الثلاثة (فشته - شلنج - هيغل) الوصول إلي معرفة العلاقة بين الألفاظ (الإنسان - الطبيعة - الله) فكانت الواحدية هي المعنى المعبر عن تلك العلاقة.

٩- اختزل (فشته) مفهوم الدين في تأدية الأنا المطلق - الذي يتوحد فيه العلم والعمل والضرورة والحرية- للواجب الخلقى ورفض فكرة وجود إله مستقل عن الإنسان فليس لله وجود إلا في إدراك الإنسان له.

١٠- نجد (شلنج) يتحدث عن الفكر ويصفه بأنه النهاية العليا للتطور الذي بدأ بالمادة بخلاف (اسبينوزا) الذي كان الفكر والامتداد عنده وجهتي نظر مختلفتين (صفتين) للجوهر الواحد، فالمطلق كماهية أولية عند شلنج أو فكرة تتموضع في الطبيعة وتعود إلي نفسها كذاتية في عالم التمثل (أي كمادة).

١١- الإله عند (شلنج) يخلق ذاته ويحقق ذاته في الطبيعة وفي العالم الإنساني، فالإله عنده يمر بعملية تطور يبدأ باعتباره وجود أولي متميز وقوة خالصة ثم ينقسم إلي: وجود شخصي، ووجود متجسد في الكون عندما يصل إلي الوعي بذاته، فالله عند شلنج حياة تخضع للمعاناة والنمو، فهو ليس جوهرًا أصليًا غير متغير بل هو جوهر حي

### متغير لذاته.

١٢- نظرة هيجل للدين قائمة علي تصور رمزي للألوهية لا علي تصور عقلي خالص فكان تحت تأثير التصور المسيحي للدين الذي يجمع بين الله والإنسان في وحدة لا متناهية.

١٣- لم يفسح هيجل مجالاً للعلو الإلهي فالمعرفة المطلقة عنده هي معرفة إنسانية يتجلي فيها المطلق علي شكل حركة لا متناهية يتم من خلالها ظهور المتناقضات واختفائها وليس ثمة روح تسكن في عالم آخر يعلو علي عالمنا الحاضر بل لا بد من الوصول إلي الروح اللامتناهي.

### فهرس المصادر

- القرآن الكريم.
- اسبينوزا، د/ فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي - القاهرة، بدون رقم طبعة وبدون دار نشر.
- تاريخ الفلسفة (العصر الوسيط والنهضة)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، دار الطليعة - لبنان، ط: ٢، ١٩٨٣م.
- تاريخ الفلسفة (المجلد الأول: اليونان وروما)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٢م.
- تاريخ الفلسفة (من أوغسطين إلي دانز سكوت) المجلد الثاني - القسم الأول، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح - د/ إسحاق عبيد، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٠م.
- تاريخ الفلسفة (من أوكام إلي سوريز)، فريدريك كوبلستون، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، د/ محمود سيد أحمد، المجلد الثالث، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٣م.
- تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، د/ يوسف كرم، مؤسسة هنداوي - القاهرة، بدون رقم طبعة وبدون سنة نشر.
- تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، تر: د/ محمود سيد أحمد، دار التنوير - لبنان، ط: ١، ٢٠١٠م.
- تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثالث - الفلسفة الحديثة)، برتراندرسل، تر: د/ محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم طبعة، ١٩٧٧م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الأول - السابقون علي السوفسطائيين)، د/ مصطفى النشار، دار قباء - القاهرة، ١٩٩٨م.

- تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ ماجد فخرى، دار العلم للملايين - لبنان، ط: ١، ١٩٩١م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، وولتر سنتيس، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٨٤م.
- تاريخ الفلسفة (القرن السابع عشر)، اميل برهيه، تر: د/ جورج طرابيشي، ط: ٢، ١٩٩٣م.
- تاسوعات أفلوطين، تر: د/ فريد جبر، مكتبة لبنان ناشرون، ط: ١، ١٩٩٧م.
- جدلية الدين والتنوير (من دروس فلسفة الدين لهيجل)، تر: أبي يعرب المرزوقي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة - كلمة، ط: ١، ٢٠١٤م.
- الحرية الإنسانية والعلم، د/ اليمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٦م.
- خريف الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٥، ١٩٧٩م.
- دليل أكسفورد للفلسفة، تدهوندرتش، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير - ليبيا، بدون رقم طبعة، ٢٠٠٣م.
- الدليل الفلسفي الشامل، رحيم أبو رغيف الموسوي، دار المحجة البيضاء - لبنان، ط: ١، ٢٠١٣م.
- ديمقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتي عصورنا الحديثة، د/ علي سامي النشار - د/ محمد عبودي إبراهيم - د/ علي عبد المعطي محمد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون رقم طبعة، ١٩٧٢م.
- ربيع الفكر اليوناني، د/ عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٣، ١٩٤٢م.



- شلنج، د/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط: الثانية، بدون سنة نشر.
- علم الأخلاق، باروخ اسبينوزا، تر: جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة - لبنان، ط: ١، ٢٠٠٩م.
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د/ عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٢م.
- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط: ١، ١٩٥٤م.
- فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، د/ مصطفى النشار، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط: ٢، ١٩٨٨م.
- فلاسفة يونانيون العصر الأول، د/ جعفر آل ياسين، مطبعة الإرشاد - جامعة بغداد، ط: ١، ١٩٧١م.
- الفلسفة المثالية، هنس زندكولر، تر: د/ أبو يعرب المرزوقي - فتحي المسكيني - ناجي العونلي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - لبنان، ط: ١، ٢٠١٢م.
- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د/ أميرة حلمي مطر، دار قباء - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٩٨م.
- الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، د/ عزت قرني، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، بدون رقم طبعة، ١٩٩٣م.
- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، تر: د/ فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، بدون رقم طبعة، ٢٠٢٢م.
- فلسفة هيجل ولتر ترنس ستيس - هيجل والديمقراطية د/ ميشيل متياس، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م.

- فلسفة هيجل، المجلد الأول المنطق وفلسفة الطبيعة، ولتر سيتس، تر: د/ إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير - لبنان، ط: ٣، ٢٠٠٧م.
- فلسفة هيجل، عبد الفتاح الديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون رقم طبعة، ١٩٧٠م
- قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٣٦م.
- قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين - زكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٣٥م.
- كزنيوفان والفلسفة الإيلية، د/ الطيب بو عزة، مركز نماء للبحوث والدراسات - الدار العربية للطباعة - لبنان/ الرياض، ط: ١، ٢٠١٦م.
- مع الفلسفة اليونانية، د/ محمد عبر الرحمن مرحبا، منشورات عويدات - باريس/ لبنان، ط: ٣، ١٩٨٨م.
- معجم الفلاسفة، د/ جورج طرابيشي، دار الطليعة - لبنان، ط: ٣، ٢٠٠٦م.
- المعجم الفلسفي، د/ مراد وهبة، دار قباء الحديثة - القاهرة، ط: ٥، ٢٠٠٧م.
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٩٨٣م.
- موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، روني إيلي ألفا، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: ١، ١٩٩٢.
- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط: ٣، ٢٠١٠م.
- موسوعة الفلسفة، د/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، ط: ١، ١٩٨٤م.

- الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي - لبنان، ط: ١، ١٩٨٦م.
- الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الثاني - القسم الثاني، معهد الإنماء العربي - لبنان، ط: ١، ١٩٨٨م.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري و ج.أو. أرمسون، تر: فؤاد كامل - جلال العشري - عبد الرشيد عبد الصادق، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٣م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د/ عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، ط: ١، ١٩٩٩م.

- alquran alkarim.
- asbinuza, du/ fuad zakaria, muasasat hindawi - alqahiratu, bidun raqm tabeat wabidun dar nashra.
- tarikh alfalsafa (aleasr alwasit walnahdatu), amil birhihi, tir: du/ jurj tarabishi, dar altalieat - lubnan, ta: 2, 1983m.
- tarikh alfalsafa (almujalad al'uwla: alyunan waruma), fridrik kublistun, tir: du/ 'iimam eabd alfataah 'iimami, almajlis al'aelii lilthaqafat - alqahiratu, ta: 1, 2002m.
- tarikh alfalsafa (min 'uwghustin 'iilay danz skut) almujalad althaani - alqism al'uwla, fridrik kublistun, tir: du/ 'iimam eabd alfataah - du/ 'iishaq eubayd, almarkaz alqawmia liltarjamat - alqahiratu, ta: 1, 2010m.
- tarikh alfalsafa (min 'uwkam 'iili suriz) , fridrik kublistun, tir: du/ 'iimam eabd alfataah 'iimam , du/ mahmud sayid 'ahmadu, almujalad althaalithi, almarkaz alqawmia liltarjamat - alqahiratu, ta: 1, 2013m
- tarikh alfalsafat al'uwrubiyat fi aleasr alwasit, du/ yusif karm, muasasat hindawi - alqahirati, bidun raqm tabeat wabidun sanat nashira.
- tarikh alfalsafat alhadithati, wilyam kuli rayat, tir: du/ mahmud sayid 'ahmadu, dar altanwir - lubnan, ta: 1, 2010m.
- tarikh alfalsafat algharbia ( alkitaab althaalith - alfalsafat alhadithatu), birtrandirsl, tir: du/ muhamad fathi alshiniti, alhayyat almisriat aleamat lilkitab, bidun raqm tabeati, 1977m.
- tarikh alfalsafat alyunaniat min manzur sharqaa (aljuz' al'awal - alsaabiqun eali alsuwfistayiyiyni), da/ mustafi alnashar, dar qaba' - alqahirati, 1998m.
- tarikh alfalsafat alyunaniati, da/ majid fakharaa, dar aleilm lilmalayin - lubnan, ta: 1, 1991m.

- tarikh alfalsafat alyunaniati, wultar stis, tur: mujahid eabd almuneim mujahidi, dar althaqafat - alqahirati, bidun raqm tabeati, 1984m.
- tarikh alfalsafati(alqarn alsaabie eashar), amil birhihi, tir: du/ jurj tarabishi, tu: 2, 1993m
- tasueat 'aflutin, tur: du/ farid jabara, maktabat lubnan nashiruna, ta: 1, 1997m.
- jadaliat aldiyn waltanwir (min durus falsafat aldiyn lihayjil), tir: 'abi yaerib almarzuqi, hayyat 'abuzaby lilsiyahat walthaqafat - kalimatu, ta: 1, 2014m.
- alhuriyat al'iinsaniat waleilmu, da/ yumnaa tarif alkhuli, muasasat hindawi, 2016m.
- kharif alfikr alyunanaa, da/ eabd alrahman bidway, maktabat alnahdat almisriati, ta: 5, 1979m.
- dlil 'aksfurd lalfalsafati, tdihundirtish, tur: najib alhasadii, almaktab alwataniu lilbahth waltatwir - libya, bidun raqm tabeati, 2003m.
- aldalil alfalsafiu alshaamila, rahim 'abu raghif almusui, dar almahijat albayda' - lubnan, ta: 1, 2013m.
- dimuqritis faylasuf aldhurat wa'atharuh fi alfikr alfalsafii hati easuruna alhadithata, da/ eali sami alnashaar - du/ muhamad eabuwdi 'iibrahim - da/ eali eabd almueti muhamad, alhayyat almisriat aleamat liltaalif walnashri, bidun raqm tabeati, 1972m.
- rbie alfikr alyunanaa, da/ eabd alrahman bidway, maktabat alnahdat almisriati, tu: 3, 1942m.
- shlinji, da/ eabd alrahman badwi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr - bayrut, ta: althaaniatu, bidun sanat nashira.
- ealam al'akhlaqi, barukh asbinuza, tur: jalal aldiyn saeidi, almunazamat alearabiat liltarjamat - lubnan, ta: 1, 2009m.
- alealmaniat aljuzyiyat waleilmaniat alshaamilatu, da/ eabd alwahaab almasiri, dar alshuruq - alqahiratu, ta: al'uwli, 2002m.

- fajr alfalsafat alyunaniat qabl suqrat, du/ 'ahmad fuaad al'ahwani, dar 'iihya' alkitub alearabiat - eisi albabi alhalabii washarikah - masr, ta: 1, 1954m.
- fikrat al'uluhiat eind 'aflatun wa'athariha fi alfalsafat al'iislatmiat walgharbiati, du/ mustafay alnashar, maktabat madbuli - alqahiratu, tu: 2, 1988m.
- falasifat yunaniuwn aleasr al'uwala, da/ jaefar al yasin, matbaeat al'iirshad - jamieat baghdad, ta: 1, 1971m.
- alfalsafat almithaliati, hins zindikulir, tir: 'abu yuerib almarzuqi - fathi almiskiniu - naji aleunli, alshabakat alearabiat lil'abhath walnashri- lubnan, ta: 1, 2012m.
- alfalsafat alyunaniat tarikhuha wamushkilatiha, du/ 'amirat hilmi mutara, dar qaba' - alqahirati, bidun raqm tabeati, 1998mi.
- alfalsafat alyunaniat hataa 'aflatuna, da/ eazat qirni, majlis alnashr aleilmii - jamieat alkuayti, bidun raqm tabeati, 1993ma.
- alfalsafat 'anwaeuha wamushkilatiha, hintar mid, tir: di/ fuad zakaria, muasasat hindawaa, bidun raqm tabeati, 2022m.
- falsafat hijil wiltar tirins stis - hijil walldiymuqratiat da/ mishil mutyas, tir: du/ 'iimam eabd alfataah 'iimam , maktabat madbuli, bidun raqm tabeati, 1996m.
- falsafat hijili, almujalad al'awal almantiq wafalsafat altabeati, waltar siats, tir: du/ 'iimam eabd alfataah 'iimam, dar altanwir - lubnan, ta: 3, 2007m.
- falsafat hijili, eabd alfataah aldaydaa, maktabat al'anjilu almisriatu, bidun raqm tabeati, 1970m
- qisat alfalsafat alhadithati, 'ahmad 'amin - zaki najib mahmud, lajnat altaalif waltarjamat walnashra- alqahirati, bidun raqm tabeati, 1936m.
- qisat alfalsafat alyunaniati, 'ahmad 'amin - zaki najib mahmud, dar alkitub almisriati, ta: 2, 1935m.
- kazinufan walfalsafat al'iiliatu, du/ altiyib bu eazati, markaz nama' libuhuth waldirasat - aldaar alearabiat liltibaeat - lubnan/ alrayad, ta: 1, 2016m.

- mae alfalsafat alyunaniati, du/ muhamad eabr alrahman marhaba, manshurat euaydat - baris/ lubnan, ta: 3, 1988m.
- muejam alfalasifati, du/ jurj tarabishaa, dar altalieat - lubnan, ta: 3, 2006m.
- almuejam alfalasafaa, da/ murad wahibata, dar qaba' alhadithat - alqahiratu, ta: 5, 2007m.
- almuejam alfalasafi, majmae allughat alearabiati, alhayyat aleamat lishuwn almatable al'amiriat - alqahirati, bidun raqm tabeati, 1983mi.
- musueat 'aelam alfalsafat alearab wal'ajanibi, runi 'iili 'alfa, dar alkutub aleilmiat - lubnan, ta: 1, 1992.
- musueat alfalsafat walfalasifati, da/ eabd almuneim alhafnii, maktabat madbuli, tu: 3, 2010m.
- musueat alfalsafati, da/ eabd alrahman badwi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr - lubnan, ta: 1, 1984m.
- almawsueat alfalsafiat alearabiatu, almujalad al'awala, maehad al'iinma' alearabii - lubnan, ta: 1, 1986m.
- almawsueat alfalsafiat alearabiat, almujalad althaani - alqism althaani, maehad al'iinma' alearabii - lubnan, ta:1, 1988m.
- almawsueat alfalsafiat almukhtasaratu, junathan ri w j.'uw. 'armsun, tir: fuad kamil - jalal aleashri - eabd alrashid eabd alsaadiq, almarkaz alqawmiu liltarjamat - alqahiratu, ta: 1, 2013m.
- musueat alyahud walyahudiat walsihyawniati, du/ eabd alwahaab almasiri, dar alshuruq - alqahiratu, ta:1, 1999m.

